تأصيل
مركز التأصيل للدراسات والبحوث

المؤثرات الغيبية في النفس الإنسانية بين الدين والفلسفة

د. فوز بنت عبد اللطيف كامل كردي

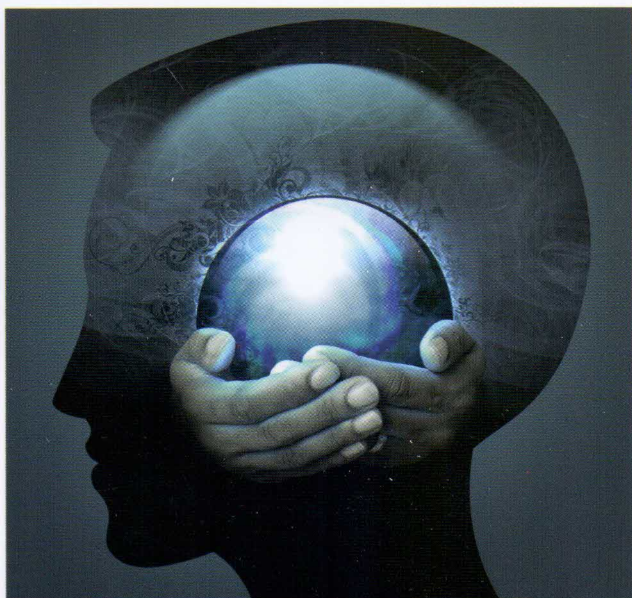

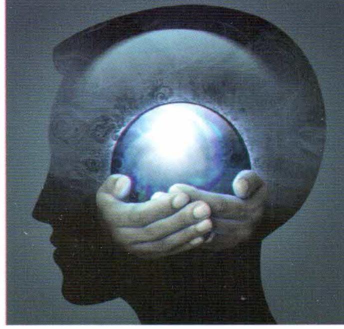

المؤثرات الغيبية في النفس الإنسانية
بين الدين والفلسفة

الإنسان كما تبين النصوص الشريفة حقيقته ؛وحدة متكاملة قائمة على امتزاج دقيق محكم بين المادة والروح، لا يدرك حقيقتها إلا من يتلقى معارفه من الوحي . ففي النفس الإنسانية تمازج عجيب بين عالم الغيب والشهادة شديد الحبكة والتعقيد، وتتأثر بمؤثرات متنوعة (مُحسة ومغيبة) في رحلة حياتها فيظهر ذلك على أنواع سلوكها واتجاهاتها ومعارفها . وقد كان الكشف عن حقيقة النفس والتعرف على حقيقة ما يؤثر فيها مطلبا تتبعه الفلاسفة من القديم والباحثين في علم النفس الحديث وكشفوا جوانب مهمة مما يتعلق بالجانب المادي ولم يصلوا في الجانب الغيبي لأكثر من فروض ونظريات أو فلسفة وخيالات .

تكشف هذه الورقات حقيقة مقالاتهم وتسلط الضوء على الحق الذي ضلوا عنه فيما يتعلق بالنفس الإنسانية والمؤثرات الغيبية عليها .

المملكة العربية السعودية - ص.ب ١٨٧١٨ جدة ٢١٤٢٥
هاتف : ٦٢٨٨٦٨٥ ٢ (٩٦٦+) فاكس : ٢٧١٨٢٣٠ ٢ (٩٦٦+)
www.taseel.com - info@taseel.com

المؤثرات الغيبية في النفس الإنسانية
بين الدين والفلسفة

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤثرات الغيبية في النفس الإنسانية بين الدين والفلسفة

د. فوز بنت عبد اللطيف كامل كردي

مركز التأصيل للدراسات والبحوث

المؤثرات الغيبية في النفس الإنسانية
بين الدين والفلسفة

د. فوز بنت عبد اللطيف كامل كردي

مركز التأصيل للدراسات والبحوث
جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ/٢٠١٥م

تصميم الغلاف: مركز التأصيل

الحجم: ١٤×٢١,٥سم

التجليد: غلاف

جميع الحقوق محفوظة للمركز. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع دون إذن خطي مسبق من:

All rights reserved. No part of this book may be reproduced. Or transmitted in any form or by any means. Electronic or mechanical. Including photocopyings. Recordings or by any information storage retrieval system. Without the prior permission in writing of the publisher.

مركز التأصيل للدراسات والبحوث

المملكة العربية السعودية، جدة، طريق الحرمين (الخط السريع)، بجوار جسر التحلية.

هاتف: ٦٢٨٨٦٨٥ ٠١٢ ٩٦٦ + ناسوخ: ٢٧١٨٢٣٠ ٠١٢ ٩٦٦ +

ص ب: ١٨٧١٨ جدة ٢١٤٢٥ المملكة العربية السعودية

الموقع الإلكتروني: www.taseel.com

بريد إلكتروني: info@taseel.com

رأي المؤلف لا يعبر بالضرورة عن رأي المركز

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

فالإنسان مخلوق تتمازج فيه عناصر من عالمي الغيب والشهادة، لذا كان من المستحيل الوصول إلى طبيعته وخصائصه وما يؤثر فيه إلا بالاعتماد على نصوص الوحي والتلقي عنه. وقد وصل الباحثون عن حقيقة الإنسان ومايؤثر فيه بمجرد العقل أو الفلسفة إلى تصورات مختلفة ومختلطة، وأيّاً كان نتاج التفكير العقليّ أو الرجم الظني في هذا الموضوع فإنه ظلّ قاصراً عن تقديم معرفة يقينيَّة وشاملة تبرز حقيقة النفس الإنسانية والمؤثرات الغيبية فيها، وكيفية التعامل معها، أوالإفادة منها. كذلك وقف العلم التجريبيّ في مجال علم النفس الحديث عند حدود الظنون وبعض الفرضيات والنظريات التي لم ترق إلى مستوى الحقيقة العلمية لإغفال هذا العلم ـ علم النفس ـ في بداياته الجانب الروحي الذي هو جزء مهم من الإنسان. ولذلك انبرت طائفة من المهتمين بمعرفة حقيقة الإنسان إلى البحث في الفلسفات المختلفة

وخرج ما سمي بعلوم (الماورائيات) ومنها (ماوراء علم النفس) أو(الباراسيكولوجي) الذي حاول أهله معرفة الإنسان وحقيقة المؤثرات الخفية فيه بدراسة الظواهر الروحانية والخوارق، ولم يصلوا طيلة هذه الفترة إلا كما وصل غيرهم إلى ظنون وفروض.

أما المؤمنون بالوحي الحق (المسلمون) فقد عرفوا من نصوص الوحي المعصوم حقائق مهمة عن النفس جسداً وروحاً، وعن المؤثرات الخفية فيها، وعن العوالم الغيبية المحيطة بها. فالوحي قدّم للمؤمنين به منذ بدء الخليقة عبر الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أصولا معرفية وحقائق قطعية فيما يتعلق بعالم الغيب، ومن ذلك تعريفهم بأنفسهم وعلاقتهم بعالم الغيب؛ ليتمكنوا من توجيه حياتهم نحو الغاية التي خلقوا لأجلها. إلا أن النسيان ويد التحريف لم تبق من الوحي الذي أُنزل على الأنبياء شيئاً إلا ما تكفّل الله بحفظه في الرسالة الخاتمة: الإسلام، ولذلك كانت المعرفة المستقاة من كتاب الله وسنة رسول الله هي الحق الثابت الذي توزن به جميع المعارف.

ويتناول هذا البحث (المؤثرات الغيبية في النفس الإنسانية بين الدين والفلسفة) طرفاً من هذا الجانب المعرفي فيتتبع حديث الوحي كتاباً وسنة عن الإنسان وقواه المعرفية ليصل إلى حقيقة المؤثرات الغيبية في النفس الإنسانية، كما يستعرض الصورة الفلسفية التي يقدمها العقل البعيد عن نور الوحي لهذه المؤثرات.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى إبراز حقيقة المؤثرات الغيبية في النفس الإنسانية، ويستعرض بعض التصورات والنظريات العلمية والفلسفية حول هذا الموضوع، للإسهام في تعريف الإنسان بنفسه جسدا وروحا، ومساعدته على الارتقاء بها وعدم الافتتان بما يعرض له.

كما يهدف إلى لفت الانتباه إلى هذا الموضوع المهم الذي كثر فيه الحديث بعيداً عن العلم الصحيح والنقل الصريح، وبخاصة مع انتشار الفلسفات الروحانية، ودعوات التنمية البشرية *Human Potential of Development* التي انطلقت في أصلها من تصورات فلسفية عن الإنسان لم تهتدِ بنور الوحي، ومع رواج المؤلفات المروجة لها من نتاج (الباراسيكولوجي) وغيره من العلوم الزائفة بين عامة الناس.

إجراءات الدراسة ومنهجها:

- اتباع المنهج الاستقرائي في تتبع نصوص الوحي حول موضوع الدراسة للوصول إلى حقيقة المؤثرات الغيبية من المنظور الإسلامي الصحيح.

- مقابلة المؤثرات الغيبية في النفس الإنسانية كما يعرضها الدين الحق بنتاج النظريات والفرضيات والتصورات الفلسفية المروجة في العصر الحديث.

- الاختصار والإيجاز سمة لهذا البحث لذا تم توضيح المعلومات والإشارة إلى الفلسفات بأقل قدر من الكلمات يفي بالغرض دون الاسترسال في الشرح والتمثيل باعتبار هذه الدراسة تفتح المجال للباحثين والباحثات حول الموضوع لدراسات مطولة أو مكملة تستوفي جوانب الموضوع الواسع، كما تجاوزت التعاريف اللغوية والتعريف بالأعلام ونحو ذلك مما يمكن مراجعته بسهولة من مظانه لمن يحتاج غلى ذلك.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تفصيلها على النحو التالي:

- مقدمة في بيان أسباب البحث وأهميته وخطته.
- المبحث الأول: قوى الإنسان المعرفية.
- المبحث الثاني: النفس الإنسانية في نصوص الوحي.
- المبحث الثالث: حقيقة المؤثرات الخفية في الإنسان.
- الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

هذا وأنني أؤكد أن هذه الدراسة تشكل خطوة أولى يجب أن تتبعها خطوات لتستوفي جوانب هذا الموضوع ومتعلقاته أسأل الله أن يسر لها الوقت والجهد. وأسأله سبحانه أن يتقبل جهدي ويعفو عن تقصيري إنه سميع مجيب.

المبحث الأول

قوى الإنسان المعرفية

تتنوع الموجودات حول الإنسان في طبيعتها ونوعها وتتباين، ويمكن تصنيفها إلى عالمين:

أ - عالم الشهادة: وهو كل ما خلقه الله ﷻ وجعله مهيئاً لإدراك الإنسان بحواسّه المتنوعة، فهو العالم الذي نراه ونحسه ابتداء من أنفسنا وما يحيط بنا من جماد ونبات وحيوان وإنسان، وغير ذلك ممّا يُرى أو يُسمع، ويدرك بقوى الحواسّ المختلفة، إضافة إلى ما يكتشفه الإنسان بأدوات العلم والتقنية الحديثة التي مكنته من توسيع مجال الرؤية أو السمع إلى أكثر مما يصل إليه بالحواسّ المجرّدة، فعرف الإنسان كثيراً مما كان غيباً نسبية كأعضاء الجسم الداخلية وأغوار البحار وآفاق الكون ونحو ذلك مما أصبح اليوم جزءاً من عالم الشهادة المكشوف.

ب - عالم الغيب: وهو كل ما أخبر الله به أو رسوله ﷺ مما يخفى عن الإنسان في غالب حاله، إذ لا يمكن إدراكه بالحواس المجردة في هذه الدنيا لعموم الناس. وأعظم الغيب: الله ﷻ،

وأسماؤه وصفاته. ومن الغيب مخلوقات كثيرة وعوالم خلقها الله وأخبرنا عنها ولا نراها، ومن ضمنها أرواحنا التي هي جزء منا، ومنها عالم الملائكة، وعالم الجنّ ونحو ذلك.

وهذا العالم هو ما يسميه الفلاسفة قديماً وحديثاً (الميتافيزيقيا) أو (الماورائيات)، فيثبت كثير منهم وجوده، إلاّ أنهم لايتلقَّون حقائقه عن علاَّم الغيوب فلا يأخذونها من (الوحي)، وإنَّما يعدُّون ماتوصلهم إليه عقولهم وخيالاتهم حقيقة هذا الوجود الغيبيّ.

ولما كان الإنسان مخلوقاً يمتزج فيه الغيب والشهادة؛ كان من غير الممكن الوصول إلى معرفة كثير من الحقائق المتعلقة به إلا لمن يؤمن بالغيب ويتلقى خبره الصادق بالقبول ويوقن بحقائقه يقينه بما يرى ويشاهد. كما يحسن النظر والتأمل في آفاق عالم الشهادة.

وقد ساقت نصوص الوحي المعصوم أخباراً كثيرة عن الإنسان بعضها يتعلق بعالم الشهادة وبعضها بالغيب أو مما هو بين الغيب والشهادة، ومن ذلك الإخبار عن قصة بداية الخلق وأصل النشأة الأولى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] فآدم عليه السلام هو أصل جنس الإنسان، خلقه الله من تراب، وخلق منه زوجه، ومنهما ولد البشر جيلاً بعد جيل بالتكاثر، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

ومنها الإخبار عن غاية خلق الإنسان ومصيره بعد هذه الحياة مما يعين الإنسان على القيام بمتطلبات الخلافة وإعمار الأرض؛ إذ على هذه المعرفة يبنى منهج تزكية الإنسان لنفسه وطريق سياستها لتحقيق الغاية التي خلقت من أجلها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومن المعارف المهمة التي عُني الوحي ببيانها تعريف الإنسان بنفسه وقواه المعرفية، ليتعرف على ذاته، ويستكشف الكون حوله، ويستعين بذلك على تحقيق العبودية لله رب العالمين.

واستقراء ما ورد في النصوص الشريفة عن قوى الإنسان المعرفية يُبرز منّة الحكيم ﷻ على الناس؛ فقد فطرهم على معارف ضروريّة لحياتهم وعبوديّتهم، وطبعهم بطبائع شتى، ووهبهم قوى مختلفة، وميزهم بصفات تعينهم على طلب العلم ومعرفة الحقّ، وامتنّ عليهم بإرسال الرسل ينبئونهم بما خفي عنهم من أمور الغيب لتطمئنّ نفوسهم فيعرفوا من هم، ومن إلههم، ولِمَ خلقوا، وإلى أين مصيرهم.

فالقدرة على المعرفة هي إحدى خصائص الإنسان المهمة وهي منحة من خالقه، ورحمة من موجده الذي أخرجه إلى هذا الوجود عريّاً عن العلم والقدرة إلاّ ما فطره عليه من معارف فطريّة

ضروريّة وأقدره عليه مما هو لازم لحياته، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، وبرحمته منحه أدوات وأسباباً يكتسب بها المعرفة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [النحل: ٧٨]، وساق له أسباب العلم برحمته: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، وأمره باستعمال عقله في التفكُّر والاستدلال، قال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ودعاه إلى طلب المزيد: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. وأخبره أنه يختصّ بعض عباده بعلم من لدنه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، وأنه يصطفى من عباده من يطلعهم على بعض الغيب فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وأخبره أن هناك من العوالم والأمور ما لا يحصيه إلاَّ علام الغيوب، وأمره أن يقطع طمعه عن معرفة ما لم يكشف له من الغيب أو يقول فيه بغير علم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومن المعلوم أن الناس بعد ذلك كله يتفاوت فيما يعلمون وما يصلون إليه من معارف سواء فيما يتعلق بعالم الشهادة أو عالم الغيب تفاوتاً كبيراً بحسب فضل الله عليهم أولا، ثم بحسب المواهب والقوى التي تفضل الله ﷻ بها عليهم، وبحسب

جهدهم في النظر واتباعهم للمنهج الموصل إلى صحيح العلم والمعرفة. وفيما يلي تفصيل للقوى والمنح المتعلقة بالمعرفة التي وهبها الله للإنسان التي من خلالها يستكشف الكون حوله، وهي نوعان:

الأول: مواهب وقوى عامة أعطاها الله لجميع الناس:

أ - الفطرة:

يُولد الإنسان وعنده معارف فطريّة جعلها الله مركوزة في أصل فطرته تشتمل على أساس ما يقيم حياته من معرفة ربِّه وخالقه، وأصول تمييزه للخير من الشرّ، قال ﷺ فيما يرويه عن ربِّه تعالى: «خلقت عبادي حنفاء»[1]، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠] فجاء الأمر بإخلاص العبادة لله تعالى مبنيّاً على أصل مافطر الله عليه الناس من الحنيفية والتوحيد. وقد تتعرض إلى ما يفسدها من خارجها فلا تدل على الخير ولا تقود إلى الحق، قال ﷺ: «كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه...»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٧)، كتاب الجنة ، باب الصفات التي يعرف في الدنيا بها أهل الجنة، حديث رقم: (٢٨٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٤)، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟، حديث رقم: (١٣٥٨)، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٧)، كتاب القدر، باب معنى «كل مولود يولد على الفطرة»، حديث رقم: (٢٦٥٨).

والفطرة السليمة تدل الإنسان إلى معارف كليّة عامة عن عالم الغيب ؛ فبالفطرة يعرف الإنسان أنَّ وراء هذا الكون إلها عظيما قادرا كبيرا، وأن له كمالاً مطلقاً، ولكنه لا يهتدي إلى نعوت كماله وصفاته وأفعاله والطريق الموصل إليه إلاّ عن خبر الوحي. ويعرف بالفطرة أنّ الدنيا ليست عبثاً، فهناك جزاء وحساب بعد هذه الحياة، ولكن أنى للإنسان أن يعرف تفاصيل الجزاء زمناً أو كيفية بفطرته، لذا يظل مفتقراً إلى هذه المعرفة من خلال وحي معصوم من عند الله ربِّ العالمين، يعرفه بثواب المتَّقين وجزاء المجرمين وتفاصيل اليوم الآخر وهكذا.

فالفطرة السويَّة توصل إلى الحقّ بطريقة مجمَلة فيما هو من عالم الغيب، بل هي كذلك في عالم الشهادة أيضاً إذ لا بدّ من التعليم والتربية واستخدام السمع والبصر في النظر وإعمال العقل والفكر للاستدلال والقياس لمعرفة تفاصيل عالم الشهادة الفسيح.

ب - الحواسّ:

وهي المنافذ التي تستقبل المعرفة في الإنسان، فيرى من خلال عينيه ويلمس الأثرها بيديه ويسمع بأذنيه فيكتسب من ذلك علوماً متنوعة عن الكون حوله. وقد لفت الوحي نظر الإنسان إلى هذه الحواس، وأخبره أن الله يقدره بها على اكتساب مزيد من العلوم والمعارف، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ [المؤمنون: ٧٨]، وقال: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [السجدة: ٩]، ودعاه لاستخدامها وحذره من تعطيلها فقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وكما ندب الله ﷻ الإنسان إلى استخدام حواسّه وقواه، فقد حذّره من الاغترار بها والانخداع بقواها والظن بأنها موصلة إلى معرفة كل الحقيقة، فقال موبخًا مؤدّباً من تجرأ على الكذب والقول الباطل بغير علم[1]: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، ونهى عن ذلك وحذّر منه فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

كما حذّر الله الإنسان من الانكفاء وقصر المعرفة على ما تدركه الحواس وإنكار ما وراء ذلك، فالحواس وسائل لمعرفة لعالم الشهادة فقط، أما إدراك عالم الغيب فهي عنه عاجزة، قال تعالى مذكّراً الإنسان أنّ وراء ما يعلم كثيراً ممّا لا يعلم: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

ويتفاوت الناس في قوّة حواسّهم، إلا أنهم يتقاربون كثيراً في الحالة العامة في المدى الذي تصله هذه الحواس وهو عالم

(١) انظر جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٢١/ ٥٨١).

الشهادة. وقد عزّزت وسائل الاتصال المتنوعة قدرة الحواسّ، فاتّسع مجال ما يُرى ويُسمع؛ فانكشفت غيوب نسبية كانت محجوبة عن قوى الحواسّ المجرَّدة، فالمناظير والأجهزة المكبِّرة والمقرِّبة اليوم وسّعت مدى الرؤية بعيداً إلى آفاق رحيبة أو أعماق سحيقة، أو باطن خفيّ لم يكن بمقدور الإنسان معاينته بعينه المجرّدة في أزمنة مضت. وكذا الأمر في المسموعات الخافية على قدرة السمع المجردة لعموم الناس.

كما أمكن عن طريق الأجهزة والمخترعات الحديثة تخطّى حدود الزمان ليرى الإنسان ويسمع ما حدث في أزمنة مضت وكأنّه حاضر فيها، وتخطّى حدود المكان ليرى أحداثاً لا يمكن أن يصل إليها بصره ولا مناظيره عن طريق ما تنقله إليه أجهزة البثّ المباشر والتسجيلات الصوتية والمرئية وغيرها.

ج. العقل: من منن الله ﷻ على الإنسان ما وهبه إياه من العقل والإدراك، الذي يصل به إلى فهم ماحوله ويستدل بالشاهد على الغائب، قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]؛ قال الطبري في تفسير الأفئدة: «تعقلون بها»[١] وقال ابن كثير: «أي العقول والإدراك»[٢]، فالسمع والبصر منافذ للعقول والأفئدة، والإنسان

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٢٣/ ٥١٧).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ١٨٠).

يصل إلى المعرفة بالتعقّل والتدبر فيمايرى ويسمع فيدرك حقائق كثيرة أوسع من نطاق حواسّه في عالم الشهادة المحسّ.

فمجال العقل مرتبط بإدراك المحسوسات والعلوم الطبيعيّة المبنيّة على الملاحظة والاستنتاج ومعرفة العلل، لذلك كلّما بعدت المعلومات عن ملاحظة حواسّ الإنسان لها ضعفت قدرة العقل ودقّته في الاستنباط والاستنتاج، ومن ثم خفي عليه تبيُّن وجه الحقّ فيها. أما ما كان من عالم الغيب الذي لا مدخل للعقل فيه، فإن دور العقل ينحصر في التحقق من صدق من يُخبر عنه والتأكد من صحة نقله وفهم مراده ومقصوده.

أما الأمور التي يكون لها متعلّق بالحواسّ مع تعلُّق جوانبها وحقائقها بغيوب زمانية أو مكانيّة، نسبية أو مطلقة، كما في تتبع أصل نشأة الكون بالظواهر الفيزيائيَّة والجيولوجيَّة وغيرها، فإن نتاج تفكير العقل في مثل هذه الأمور منه ما يقبل داخل حدود أنه علم يبدأ وينتهي بالاحتمالات وليس باليقين، ومنه ما يُرفض تماماً مما هو متعارض مع الغيب الحقّ، ومن هذا الباب معرفة حقيقة النفس الإنسانية وطرق تزكيتها وتهذيبها والمؤثرات الخفية عليها، وقد أمضى علماء معاصرون حياتهم بحثاً عن حقيقة الإنسان ثم خرج أحدهم ليقول: «الإنسان لا يملك معرفة علمية بطبيعته وأن جهلنا بحقيقة أنفسنا مطبق»[1].

---

(١) الإنسان ذلك المجهول، إلكسس كاريل: ص ٢٣.

فمعرفة النفس الإنسانية موضوع اشتغل به الناس قديماً وأعملوا عقولهم فيه ونشأت فلسفات شتى وتصورات مختلفة لم تهتدِ أي منها إلى حقيقة الإنسان وقد اعترف بذلك إمام الفلاسفة قديماً «أرسطو» بقوله: الحصول على معرفة وثيقة عن النفس...أمر شديد الصعوبة(١).

وفي الفلسفة الحديثة لم تنته التأملات ومحاولات البحث في النفس الإنسانية لأكثر من سابقتها إلا أن التوجه إلى المنهج العلمي الذي كان بداية لنشأة علم النفس أوصل إلى عدد من الفرضيات والنظريات من مجموع مشاهدات ورصد لظواهر السلوك المختلفة، وقد أثّرت ظروف نشأة هذا العلم في الوسط الغربي الملحد أو المتخاصم مع الدين عليه فجعلته علماً مادياً بحتاً أغفل الروح ومتطلباتها والمؤثرات الحقيقية عليها(٢).

والعقل وحده لا يوصل إلى الحق فيما يتمازج فيه عالمي الغيب والشهادة، فمجال العقل عالم الشهادة وإذا تعدَّى حدود مجاله جانب الصواب، وقد يُنكِر بعض الغيب لجهله به، لذلك كان تحذير السلف رضوان الله عليهم من مزلق الافتتان بالعقل كثيراً، وبيانهم عاقبة إعمال العقل فيما ليس من اختصاصه، مع تأكيدهم- رحمهم الله - على وجوب إعمال العقل فيما خُلق من

---

(١) انظر: النفس، لأرسطو: ص٤.

(٢) انظر: تمهيد في التأصيل لعبدالله الصبيح: ص٦٣-٦٦.

أجله لتمييز ما قد يراه الإنسان أو يخيَّل إليه، فالعقل ميزان صحيح في معرفة الحقّ والباطل في عالم الشهادة وفي معرفة صدق المخبر عن الغيب من كذبه قال الطحاوي: «من رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان»(١).

النوع الثاني: مواهب يتفاوت فيها الناس:

يفضّل الله بعض الخلق على بعض، وبعض الناس على بعض في مجالات شتى، وفي مجال المعرفة ذكر الله ﷻ أنه يُعلّم ويفتح على من يشاء، وبيّن أنه يختص بعض خلقه على بكشف شيء من الغيب لهم بإذنه، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٦-٢٨]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، ويكون ذلك الكشف إمَّا معجزة من عند الله لتأييد أنبيائه ورسله، ورحمة بعباده لبيان منهج العبودية الذي شرعه لهم، أو كرامة أو نصرة منه لأوليائه.

ومعلوم ما اختص الله به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم

(١) «شرح الطحاوية» لابن أبي العز: ١٨٤.

من أنواع الوحي، كما روى التاريخ لنا كثيراً من قصص الكرامات لبعض الصالحين فيما يتعلق باطِّلاعهم على بعض ما يغيب عن البشر مثلهم إلهاماً أو رؤى صادقة. فإذا كان التمثل في المنام سمي رؤى، والرؤيا ما يرى النائم في منامه، والرؤى الصادقة لغير الأنبياء من حيث الأصل قوة غيبية وهبية هي نوع من الوحي، وقد تحصل لأولياء الله كرامة من الله لهم، وقد تحدث الرؤيا الصادقة للكافر والفاجر أحياناً، قال ابن حجر: «الرؤيا الصحيحة وإن اختصَّت غالباً بأهل الصلاح، لكن قد تقع لغيرهم»[(١)] فتكون للفاجر إنذاراً له، وحجَّة عليه، أو استدراجاً له وإمداداً في غوايته، فينبغي التفريق بين كرامات الصالحين واستدراج الزائغين وأحوال الدجَّالين وأولياء الشياطين[(٢)]. قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا ثلاثة فرؤيا بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا ما يحدِّث به المرء نفسه»[(٣)].

أما الإلهام فهو في اللغة: التلقين[(٤)]. وحقيقته: إلقاء الشيء

(١) «فتح الباري» لابن حجر: ١٢/ ٣٨١.

(٢) أنكر الفلاسفة الرؤى عدا النفسانية، التي فسروا حدوثها بهيجان الأخلاط في الإنسان، وقريب من ذلك صنع علماء النفس في العصر الحديث فجعلوها رواسب الذاكرة وخليط الأمزجة فقط.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٣٧)، كتاب التعبير، باب القيد في المنام، برقم: (٧٠١٧) موقوفاً على ابن سيرين، وعند مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٣)، كتاب الرؤيا، حديث رقم: (٢٢٦٣).

(٤) ينظر: «لسان العرب» لابن منظور: لهم: (١٢/ ٥٥٥).

في الروع، ويختصّ بما كان من جهة الله تعالى، وجهة الملأ الأعلى[١].

ويُعرّف عند المتصوفة الفلاسفة بأنّه إيقاع في القلب من العلم غير القائم على الاستدلال والنظر، ويسمُّون ظهوره لدى الإنسان إشراقاً وكشفاً وذوقاً ويسمُّون الموطن الذي يقع فيه الإلهام البصيرة[٢].

ومن القوى الوهبية التي يتفاوت فيها الناس كذلك قوة التوسم وهي النظر والتأمل للشيء والبصر به[٣]؛ يقال: تفرَّس في الشيء إذا توسَّمه، يقال توسمت في فلان خيراً أي رأيت فيه أثراً منه[٤]، وقد ورد ذكره في حديث النبي ﷺ: «إنَّ لله عباداً يعرفون الناس بالتوسُّم»[٥]. ويطلق على التوسم الفراسة، وقد يُستعان فيها

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ٧٤٨ ، و«التعريفات» للجرجاني: ٣٤.

(٢) «معجم مصطلحات الصوفية»: ١٠٤، وينظر: «المعجم الفلسفي» لجميل صليبا: (١/ ٩٣).

(٣) «لسان العرب» لابن منظور: فرس: (٦/ ١٦٠)، وسم: (١٢/ ٦٣٧).

(٤) المرجع نفسه، و«تاج العروس» للزبيدي: (١٦/ ٣٢٨).

(٥) رواه الطبراني في الأوسط: (٣/ ٢٠٧)، وقال الهيثمي: إسناده حسن، مجمع الزوائد: (١٠/ ٢٦٨)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٦٧)، رقم: (١٦٩٣). وهو يغني عن الحديث الضعيف المشتهر: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» الذي رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٢٩٨)، عن أبي سعيد الخدري: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر، حديث رقم: (٣١٢٧) ، ينظر: السلسلة الضعيفة (٤/ ٢٩٩)، رقم: (١٨٢١).

بمعرفة السمات والملامح أو المنطق والحديث كما في الآية: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ﴾ [محمد: ٣٠]، ومن المهم التأكيد على أن الفراسة أو التوسم ملكة وهبية، وليست علماً يتعلّم ويكتسب. وما يتوصل إليه توسماً وفراسة لا يعدو كونه ظنّاً راجحاً؛ لذا لا يمكن الاعتماد على الفراسة للوصول إلى معرفة يقينيَّة عن خفايا مغيبة وإن كانت تصدق كثيراً عند أهل الإيمان كرامة من الله لهم. وقد تكون فتنة واستدراجاً؛ لذا كان لابدَّ من التعامل معها كما تعامل السلف رضوان الله عليهم.

ومما يجب التنبيه عليه في هذا المقام أن العلم البشريّ - عدا (تلقي الوحي) الخاصّ بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وقد خُتموا بمحمد ﷺ - مهما اتَّسع وتنوَّعت مجالاته ومصادره يظلّ دائماً مرتبطاً بالإنسان وصفاته المحدودة القاصرة، فمهما ارتقى في سلم العلم، ونهل من معين المعرفة، ومهما رجح عقله وتوقَّد ذهنه، ومهما قوي سمعه وبصره أو صفت نفسه وصلح فؤاده، فهو بشر يعتريه القصور ويكتنفه، وكل مايتعلق بالإنسان يلحقه ذلك كقوته وصحته وعلمه وغيره.

فالإنسان يولد ضعيفاً جاهلاً، محتاجاً إلى جهود تعليم وتربية وتوجيه توقظ معارفه الفطريّة، وتدلّه على طريق العلم والمعرفة الذي وُلد وعنده الرغبة فيه ولديه أدواته ويزداد معرفة كلما نظر وتبصر وطلب العلم قاصداً مجتهداً. ثم يكون ذلك العلم عرضة للنقص مع تقدم الزمان وضعف القوى البدنية والتعرض للآفات

والحوادث، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]، فالإنسان ينسى بعد أن علم، وقد يجنّ بعد عقل وهو عرضة للخطأ في كل أحواله.

كما أن الإنسان محدود بالزمان والمكان: فعمر الإنسان في الدنيا سنين معدودة، لا يستطيع تخطّي حدود ماقدِّر له فيها من حياة. وهو كذلك محدود بالمكان على هذه الأرض، وما يمكن أن يصله خارجاً عنها بتقنيات عصور التقدُّم التقني له مدى لايستطيع أكثر منه مهما زاد. لذلك يذكّر القرآن الكريم الإنسان دائماً بحدود علمه، ويحذِّره من القول بلا علم: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٥]، ويؤكِّد له غياب عوالم كثيرة عنه وجهله بكيفيَّتها فيقول: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١]، ويؤكد له أن علمه قليل: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وبهذا يتضح أنّ صفات الإنسان المتعلِّقة بالعلم تساعده لاستكشاف عالم الشهادة وعمارة الأرض لكنها تعجز عن تمكينه من سبر أغوار جوانب كثيرة في الحياة المشهودة للترابط والتمازج بين عالمي الغيب والشهادة. أما حقائق الغيب المطلق فالإنسان أعجز وعلمه وقواه أضعف عن إدراكها ومعرفتها. ومن ثَّم فلا بد له أن يلجأ إلى الله مؤمنا به، متلقيا خبر وحيه إلى أنبيائه باليقين؛ إذ «لا سبيل إلى نتيجة قطعيَّة يقينيَّة إلاَّ عن طريق هدى الله الذي

يبيِّنه للناس. ومن ثَمَّ يبقى علم الإنسان فيما وراء ما قرَّره الله له، علماً ظنياً لا يصل إلى مرتبة اليقين بحال»[١].

وفي المبحث التالي نستعرض نصوص الوحي الشريفة في حديثها عن الإنسان لنحدد معالم مهمة عن النفس الإنسانية التي تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن حقيقة القوى الغيبية المؤثرة فيها.

(١) «في ظلال القرآن» لسيد قطب: (٢/ ١١١٦).

المبحث الثاني

النفس الإنسانية في نصوص الوحي

مما لا شك فيه أن معرفة الإنسان لحقيقة نفسه وقواه والمؤثرات الخفية عليها معرفة صحيحة من أسباب سعادته واطمئنانه، ومما يعينه في إصلاح دينه ودنياه.

ولأنّ هذه المعرفة تتعلّق بأمور هي غيب ماضٍ موغل في القدم كقصة النشأة الأولى، وبمستقبل بعيد يمثل مصير الإنسان بعد انتهاء هذه الحياة، وتتناول حاضر الإنسان الذي تمتزج فيه عناصر الغيب والشهادة مما لا يمكنه بقواه المعرفية المحدودة أن يسبر أغواره ويستكشف حقائقه كان لابد لنا من وقفة مع المصدر الحق المخبر عن حقيقة النفس الإنسانية. وهذا المبحث محاولة لاستخلاص خطوط عريضة تبين حقيقة الإنسان بحسب ما جاء في نصوص الوحي، فموضوع النفس الإنسانية في نصوص الوحي موضوع طويل لا تستوفيه صفحات هذا المبحث وقد تناولته كثيراً من الدراسات والأبحاث المتخصصة[١].

---

(١) ينظر مثلاً: «الإنسان بين المادية والإسلام»، «دراسات في النفس الإنسانية»=

أولا: أخبر الله أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم منذ نشأته الأولى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] وأنه مفضَل على سائر المخلوقات بتكريمه بالعقل وتكليفه بالأمر والنهي، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ثانياً: أخبر الله في الكتاب العظيم أنه أعطى الإنسان بدن، والبدن هو الجسد(١) والجسم(٢). وهو المعروف المحسوس، ورد ذكره في القرآن في قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢] أي: بجسدك(٣). وذكر رسول الله ﷺ البدن كجزء من تكوين هذا الإنسان ووجه إلى العناية به بقوله: «وإن لجسدك عليك حقّاً»(٤) فالمؤمن بالغيب يعدّ جسده نعمة من الله تعالى، ويعلم أن عليه أن يعتني به؛ ليقوى على القيام بحقّ العبوديّة لله ﷻ، بخلاف من يعتقدون بأوهامهم وظنونهم أنّ الجسد بمثابة السجن

=لمحمد قطب، و«التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية» لمحمد عزالدين توفيق وغيرها.

(١) «لسان العرب» لابن منظور: جسد: (١٣/ ٤٧).

(٢) «المعجم الفلسفي» لصليبا: (١/ ٤٠٢).

(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني: ١١٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٩)، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، حديث رقم: (١٩٧٥)، ومسلم في صحيحه (٢/ ٨١٣)، كتاب الصوم، باب النهي عن صوم الدهر، حديث رقم: (١١٥٩).

للروح، ويجب السعي للانعتاق منه بتعذيبه أوإماتة شهواته واستحقار مطالبه الفطرية، كما يدين بذلك أصحاب الوثنيّات الشرقيّة والفلسفات الصوفيّة.

وقد زوّد الله الأبدان بأنواع من القوى كالسمع والبصر، وهي ظاهرة في متناول معرفة الإنسان ومشاهداته، كما أنه مزود بأنواع أخرى خفية استطاع الإنسان بتأمله وتجاربه قديما وحديثا كشف جوانب منها، فالروح والعقل والنفس والنوازع وغيرها قوى غيبية متفاوتة، يتوصل إلى بعضها بمناهج العلم وتجاربه وتعد من قبيل الغيب النسبي الذي يكشف لأهله بأدواته، وتظل هناك جوانب مختصة بخبر الوحي كالروح، وكلّ محاولات كشف هذا الجانب الغيبي المحض وإدراك حقائقه تبقى مجرد تخرّصات فلسفية تصورها أناس بعقولهم وخيالاتهم لما لم يجدوا ما ينير دربهم في أديانهم المحرفة.

ثالثا: للإنسان نفس وروح وعقل وقلب وفؤاد، وهي أسماء لقوى ذكرتها نصوص الوحي ولم تحدِّد مدلولاتها بصورة دقيقة، وإنما أخبر الإنسان عنها ما يعينه على استخدامها على الوجه النافع له في حياته ومعاده.

النفس: بمعنى ذات الشيء وحقيقته[(١)]، فنفس الإنسان جملته من الجسم والروح، فتكون مرادفة لمعنى الإنسان، كما في قوله

(١) «لسان العرب» لابن منظور: نفس: (٦/ ٢٣٣).

تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[١].

وترد النفس بمعنى الروح التي بها تحصل الحياة للبدن[٢]، وإذا فارقته حلّ به الموت، تقول العرب: خرجت نفس فلان، أي: روحه[٣]، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥]، وقوله ﷻ: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣][٤]، وقوله ﷺ: «ألم تر إلى الإنسان إذا مات شخص بصره، قالوا: بلى، قال: فذلك حين يتبع بصره نفسه»[٥]. والروح بهذا المعنى ذكرت أحياناً ببعض صفاتها كالإحساس والإدراك الذي ينتفي أو يضعف بالمفارقة الجزئيّة للبدن في النوم: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]. أو بالدعوة إلى الخير والشرّ التي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٢)، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم: (١٣)، ومسلم في صحيحه (١/ ٦٧)، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم: (٤٥).

(٢) ينظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني: ٨١٨.

(٣) «لسان العرب» لابن منظور: نفس: (٦/ ٢٣٣).

(٤) قال البغوي في تفسيره (٣/ ١٦٩): (﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ أي أرواحكم).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٣٥)، كتاب الجنائز، باب في شخوص بصر الميت يتبع نفسه، حديث رقم: (٩٢١).

يجدها الإنسان في نفسه: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣٠]، و: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ١٨].

وزوال النفس بمعنى الروح يكون بزوال الحياة وحدوث الموت، أمّا زوال العقل فهو زوال صفة من صفات النفس[١].

الروح: وقد فُسّرت بمعان عدّة، منها: أنّ الروح هي ما يقوم به الجسد وتكون به الحياة[٢] كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩]، ومنها أنها النفس، أو ما به تحيا النفس[٣]، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] فتكون الجزء الذي تحصل به حياة النفس وحركتها، واستجلابها المنافع واستدفاعها المضارّ[٤]. وقد فرّق بعض العلماء بين الروح والنفس فجعلوا لكل واحدة منها حقيقة مستقلة بينما الأكثر على القول بأن النفس والروح لفظتان مشتركتان يُفهم المراد منهما بحسب السياق[٥]، وأصح ماقيل في

---

(١) «لسان العرب» لابن منظور: نفس: ٦/ ٢٣٤.
(٢) ينظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: ١٠/ ٣٢٤.
(٣) ينظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٥٦)، و«لسان العرب» لابن منظور: روح: (٢/ ٤٦٢).
(٤) ينظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني: روح: ٣٦٩.
(٥) ينظر: «الروح» لابن القيم: ٢/ ٥٤٢ ، «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم: ٥/ ٤٧، و«المعجم الفلسفي» لصليبا: (١/ ٦٢٥)، (٢/ ٤٨٢).

هذا الشأن أن «غالب ما يسمّى نفساً إذا كانت الروح متَّصلة بالبدن، وأمَّا إذا أخذت مجرَّدة فتسمية الروح أغلب عليها»(١).

وحقيقة الروح، وماهية ماخلقت منه، وكنهها في علم الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥](٢). وقد حاول كثير من الناس وضع تعريفات تبين كيفية الروح، ومكان وجودها، قديماً وحديثاً، ومن ذلك القول بأنها: جسم نورانيّ علويّ خفيف متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، وتفسيرها باعتدال الطبائع(٣)، والقول: إنها جزء لا يتجزّأ في القلب، أو القول: إنّها جسم هوائيّ في القلب، أو القول: إنها جسم هوائيّ في الدماغ، أو القول: إنها قوّة في الدماغ ومبدأ الحسّ والحركة، أو القول: إنَّها أجزاء نارية وهي المسمَّاة بالحرارة الغريزيَّة، أو... أو....(٤).

إلا أن حقيقة الروح غامضة مبهَمة مهما حاول الإنسان التعرف عليها، لكون الروح أمراً من عالم الغيب مجهولاً عندنا وإن كانت

(١) «شرح الطحاوية» لابن أبي العز: ٤٤٤.
(٢) وذكر القرطبي أنه قول ذهب إليه أكثر المفسرين، ينظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (١٠/ ٣٢٤).
(٣) ذكرهم ابن القيم في «الروح»: (٢/ ٥٧٩)، وعزا الأول للرازي وقال إنه القول الصواب الذي لا يصح غيره.
(٤) «الفلسفة القرآنية» للعقاد: ١٢٣.

آثارها ظاهرة مدرَكة[١]، ولا نظير للروح في عالم الشهادة؛ لذلك فالأولى الوقوف في تصوّرها عند حدود ما أخبر به الوحي المعصوم، فالإبهام في حديث الوحي عن الروح مقصود؛ ليعرف الإنسان على سبيل القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع علمه بوجودها[٢]، فيفتقر أكثر لعالِم الغيب والشهادة ويتجه إليه عابداً ذليلا.

العقل: وأصله في اللغة: الحبس والمنع، وسمي عقل الإنسان عقلا لأنه يعقِله؛ أي يمنعه من التورط في الهلكة[٣]، ويطلق على الهيئة المحمودة للإنسان في كلامه واختياره وحركاته وسكناته، ويطلق على المعاني المجتمعة في الذهن، التي تكون مقدِّمات تستَنبط منها الأغراض والمصالح، كما يطلق على القوَّة المهيئة لقبول العلم التي يدرِك بها الإنسان صفات الأشياء من حسن وقبح وكمال ونقصان[٤].

وهو عند أكثر الفلاسفة جوهر مقارن للمادة، يبقى بعد موت البدن[٥]، وهو خطأ ظاهر، رد عليه ابن تيمية فقال: «العقل عند

(١) ينظر: «منهج التربية الإسلامية» لمحمد قطب: (١/ ٤٢).
(٢) ينظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٠/ ٣٢٤).
(٣) ينظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس: (٤/ ٩).
(٤) ينظر: «معيار العلم» للغزالي: ١٦٢ ، و«مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني: ٥٧٧.
(٥) ينظر: «المعجم الفلسفي» لصليبا: (٢/ ٨٥).

المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة، وهو الذي يسمى عرضاً قائماً بالعاقل، وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]»[١].

وقد كان العقل ولا يزال مجال بحث واستكشاف عند أهل العلوم التجريبية والفلاسفة، لكنهم لم يقطعوا بشيء في حقيقته، فالأبحاث التي أجريت على الدماغ توصَّلت إلى عدد من النتائج حول القدرات العقلية ومراكز الإدراك المختلفة كالتذكُّر والتفكير والإبداع.

كما تكلم الفلاسفة المهتمون بالنفس الإنسانية وقواها عن حصول ارتقاء للنفس الإنسانيَّة حتى تصبح كمرآة مجلوَّة، فتمتلئ من النور الإلهيّ الذي يغشاها[٢]، فتصل إلى معارف خفية. وتكلموا عن قوى متنوعة كالحدس الذي هو: الظنّ والتخمين[٣]، وعرفوه بأنه: سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب[٤]. وتكلموا عن قوة الخيال والوهم، باعتبار الخيال قوّة مصوّرة يرى الإنسان من خلالها صور أشياء غائبة كأنها حاضرة، وقد يكون الخيال تمثيلاً ماديّاً لشيء خارجيّ أدركته الحواسّ سابقاً، فيرتسم في النفس ويبقى بعد غيبة المحسّ عنها، أو تمثيلاً ذهنيّاً لشيء

(١) ينظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (٩/ ٢٨٦).
(٢) «المعجم الفلسفي» لجميل صليبا: (١/ ٤٥٢).
(٣) ينظر: «لسان العرب»: حدس: (٦/ ٤٨).
(٤) «التعريفات» للجرجاني: ٨٣.

يدركه العقل فيرسم له صورة مشخّصة. ومنهم من عدّه وسيلة للاتصال بالغيب، يقول ابن كمونة: «وفي اليقظة تساعد قوّة المخيّلة على الاتّصال بالغيب»[١]، وبعضهم يرى الخيال هو حقيقة الوجود، ويعدُّون الناس نياماً لا يرون الدنيا إلاّ خيالاً، فإذا ماتوا انتبهوا[٢].

والحق أن الخيال مَلَكة وقدرة من قدرات عقل الإنسان التي تختلف كمالاً أو نقصاً بحسب مجالها وما تقود إليه، واستخدام الخيال في عالم الشهادة قد يصل بالإنسان إلى الإبداع والابتكار كما قد يصل به إلى الوهم والجنون. أمّا في عالم الغيب فالخيال يمكن أن يقرب صور بعض حقائقه مع ضرورة أن يُعلم أن حقائق الغيب وراء ذلك.

وخلاصة القول أن مجمل ما يدل عليه خبر الوحي عن العقل أنه بمواهبه وقواه المتنوعة نعمة وفضل من الله على الإنسان. وهو محل التكليف والأمر والنهي، وبه يكون التدبير والتمييز. وقد أمر الله الناس بإعمال عقولهم في التفكر في خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم، والتدبر والاعتبار لتحقيق العبودية له طاعة واختياراً، وحذرهم من تعطيله، ومن كلّ ما يحول دون استفادتهم

---

(١) «الجديد في الحكمة» لابن كمونة: ١٢٦- ٤٤٦، و«مبحث عن القوى النفسية» لابن سينا: ١٥٥.

(٢) «المعجم الفلسفي» لصليبا: (١/ ٢٦١- ٥٤٦).

منه.أمّا ماهيّة العقل فلم يرد في ذلك نصّ معصوم، فالمعارف التي يسوقها الوحي غايتها إعانة الإنسان على تحقيق العبودية لله رب العالمين وهي متحققة بما ذُكر.

القلب: ويُفسر بالفؤاد، أوالعقل[1]. ويعرّفه علماء تشريح البدن بأنه: عضو صنوبريّ الشكل، مودع في الجانب الأيسر من الصدر يستقبل الدم من الأوردة، ويدفعه في الشرايين. ويطلق عند الفلاسفة على الروح، أو النفس، ويقولون هو اللطيفة الربانية التي لها بالقلب الجسمانيّ تعلّق. ووظيفة القلب عندهم إدراك الحقائق العقلية بطريق الحدس والإلهام، لا بطريق القياس والاستدلال[2].

وتدور معاني القلب في نصوص الوحي حول الروح والعلم والعقل والشجاعة كما في قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠] أي: الأرواح[3]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] أي: من كان له علم وفهم، أو: عقل[4]. وكان أكثر يمين رسول الله ﷺ: «لا ومقلب

---

(١) ينظر: «القاموس المحيط»: قلب: (١/ ١٢٣).
(٢) ينظر: «المعجم الفلسفي» لصليبا: (٢/ ١٩٨)، و«إحياء علوم الدين» للغزالي: (٣/ ٤).
(٣) ينظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني: قلب: ٦٨١.
(٤) ينظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١/ ١٨٩)، و«تفسير ابن كثير»: (٤/ ٢٢٩).

القلوب»[١] وأخبر ﷺ عن أهمية القلب بقوله: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[٢] قال ابن حجر: «وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد. وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه، والإشارة... والمراد المتعلق به من الفهم الذي ركبه الله فيه»[٣]، وقال ابن العربي: «القلب جزء من البدن، خلقه الله وجعله للإنسان محل العلم والكلام وغير ذلك من الصفات الباطنة... والقلب يتقلب بين الخواطر الحسنة والسيئة»[٤]

الفؤاد: عُرِّف بأنّه القلب، أو سويداؤه[٥]، فالقلب يقال له فؤاد إذا نُظر فيه إلى معنى التفؤُّد، أي: التوقّد[٦] وقد جاء ذكر الفؤاد في قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وإذا ذُكر القلب والفؤاد معاً كما في الحديث: «أتاكم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢٦)، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، حديث رقم: (٦٦١٧).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٢٠)، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم: (٥٢)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢١٩)، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم: (١٥٩٩).
(٣) «فتح الباري» لابن حجر: (١/ ١٧١).
(٤) ذكره ابن حجر في «فتح الباري»: (١١/ ٢٥٧).
(٥) «لسان العرب» لابن منظور: فأد: (٣/ ٣٢٩).
(٦) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني: فأد: ٦٤٦.

أهل اليمن، هم أرقّ قلوباً، وألين أفئدة»[١]، فإنه إما يُحمل على سبيل التأكيد، أو أن القلب أخصّ من الفؤاد في الاستعمال[٢]، قال ابن كثير: أفئدتهم أي قلوبهم وعقولهم وأسماعهم، ففسر الأفئدة بالقلوب التي تعلم وتفقه والعقول التي تتفكر وتتدبر[٣].

وقد تكلم بعض العلماء في الفرق بين العقل والفؤاد، وهل محل العقل القلب أو الدماغ وهو محل نظر ليس له دلالات قطعية. ولذا أرى أن المعرفة التي تصلح لنا حياتنا وعبوديتنا قد ذكرها الوحي مفصلة بحمد الله ومنته، فالله ﷻ زودنا بقلوب وعقول وأفئدة تعي وتفقه وتتفكر وتتدبر ونحن مسؤولون عنها بتطبيق منهج الله تعالى، وليس وراء البحث في كونها في الدماغ أو في القلب بالمعنى البيولوجي (العضلة) طائل يزيد إيماننا أو يدلنا على منهج لتزكية نفوسنا وتحقيق تنمية أو حضارة في واقع الأرض.

وخلاصة الأمر أن نصوص الوحي تبيّن طرفاً من حقيقة النفس الإنسانية وتدلّ على معان متفاوتة ومتداخلة فيها، منها ماهو غيب، ومنها شهادة، ومنها أمشاج منهما. والعقل والقلب والفؤاد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ١٧٣)، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، حديث رقم: (٤٣٨٨)، ومسلم في صحيحه (١/ ٧١)، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه، حديث رقم: (٥٢).

(٢) ينظر: «لسان العرب» لابن منظور: قلب: (١/ ٦٨٧).

(٣) ينظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير: (٢/ ١٤٦).

جزء من هذه الحقيقة وهي صفات تُمكن الإنسان من الإدراك وتمييز الخير من الشرّ، سواء أترادفت معانيها أم تباينت، وسواء أكان التدبر والفهم في العضلة الصنوبرية في الصدر أم تلافيف الدماغ؛ إذ غاية المعرفة عند المؤمنين بالغيب أداء حقّ العبوديّة لله ﷻ، ولذلك لم يبذل أئمة المؤمنين بالغيب جهوداً في التفريق بين هذه الأمور، والاشتغال بوضع حدٍّ لكلّ لفظة، فهم على يقين بكمال ما أنزل الله إليهم، وعلى ثقة باشتماله على كلٍّ ما تشتدّ إليه حاجتهم، وهم مؤمنون بأنّ نبيّهم ﷺ قد اكتمل في حقِّه قوَّة البيان وقوَّة الحرص على نفع الناس وهدايتهم ؛ فمن المؤكَّد أنّ ما ذُكر في النصوص هو ما يكفي الناس ليقوموا بما كلّفوا به تجاه ربهم ﷻ.

والأمر بالتفكُّر في النفس الذي أمر به القرآن والسنة يتجه إلى النفس بمعناها العامّ الذي يقابل الآفاق، فهذا هو الذي يوصل إلى الاعتبار والانتفاع، وبهذا شهدت سنَّة رسول الله ﷺ القولية والعملية.

أما الجوانب الخفية والمؤثرات الغيبية فإن النظر والتأمل مهما تعمّق لا يمكن أن يصل إلى الحقيقة لتعلقها بالجانب الغيبي من النفس الإنسانية.وسيعرض المبحث التالي محاولات الكشف عن حقيقة المؤثرات الخفية على الإنسان بمحاولات العلم ونظريات الفلسفة مقابلة بما يخبر به الوحي ويكشفه من الحقيقة.

المبحث الثالث

حقيقة المؤثرات الخفية في الإنسان

لما كانت النفس الإنسانيَّة مكوَّنة من بدن وروح كلاهما مخلوق، فإن ظاهر الإنسان وسلوكه هو حصيلة هذين المكونين معاً. وقد كشف المنهج العلميّ التجريبيّ بعض المؤثرات الخفية على النفس كدوافع السلوك النابعة من أعماق الحاجات النفسية، وقوة الخيال التي قد تصّور الوهم على أنه حقيقة، إلا أن العلماء في هذا الباب وقفوا عند حدود وضع الفروض التي تتفاوت في مصداقيّتها وكفايتها بحسب تطبيقها للمنهج العلميّ الصحيح، وبحسب إمكان الاستدلال عليها بالظاهر في عالم الشهادة. ويظل الناتج المعرفي من مجمل هذه الفرضيات مفتقراً إلى حقائق قطعية في هذا المجال فمعرفة الجوانب الغيبية لا يتوصل إليها إلا عن طريق الوحي. فإنه يمكن رصد الأمور المحسَّة الظاهرة التي تؤثِّر في الإنسان والتعرُّف عليها من خلال الحسِّ والعقل بمناهج الملاحظة والتجريب، أمَّا الأمور الغيبيَّة التي تؤثِّر فيه فخبرها يؤخذ من الوحي وحده.

القوى الغيبية المؤثرة على الإنسان كما يعرّف بها الوحي:

الإنسان كما تبين النصوص الشريفة وحدة متكاملة قائمة على امتزاج دقيق محكم بين المادة والروح، والعلاقة بين مانراه من ظاهر النفوس وأنواع السلوك وبين ما يعرّف به الوحي من المؤثرات الغيبية علاقة قوية لا يدركها إلا من يتلقى عن الوحي.

ومن أهم هذه المؤثرات: قدرة الله المطلقة، فالله ﷻ هو خالق الإنسان من عدم وإليه مصيره ومنتهاه، وبيده ﷻ إسعاده وإشقاؤه بمحض إرادته وعظيم قوته وقدرته ﷻ. لا يُسأل عما يفعل ولا يرده شيء عن مراده، ولا يعجزه شيء إيجاداً أو إعداماً أو تغييراً ﷻ، وبقدرته ﷻ أقدر الخلق على أفعالهم فهو الخالق لهم ولأعمالهم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ٢٨]. له ﷻ النفوذ التام والملك والسلطان، والتصرف التام في سائر الأكوان، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ولهذا وجّه عباده إلى الالتجاء إليه وطلب العون منه مباشرة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وقدرة الله ﷻ لا تحدها حدود ولا تقف أمامها قيود ولا تخضع لقانون أسباب ومسببات فهو ﷻ القدير القادر خالق الأسباب ومسبباتها، والإنسان تحصل له أمور كثيرة لا يعرف لها

سبباً ولا يملك هو أن يسيرها بقدراته وقواه ومن ذلك ما يقوم به من أسباب الحياة وانتظام عمل أجهزته الداخلية وغير ذلك كثير مما حار العلم في مصدره وعرف المؤمنون بالله أن القادر سبحانه يسير أمورهم، يخفض ويرفع ويقبض ويبسط بعظيم قدرته لا إله إلا هو.

ومن هذه المؤثرات أيضاً عالم الملائكة وعالم الجنّ، لصلة الإنسان الوثيقة بهذين العالمين في كلّ أمور حياته. وقد جاء الإخبار عن الملائكة والجنّ في جميع الرسالات، وكان الإيمان بهم عامّاً في بني آدم، ولم ينكره إلاّ شواذٌّ من بعض الأمم، فعامّة الأمم السابقة -بعد تحريف كتبها- يعترفون بوجود الأرواح المنفصلة عن الآدميِّين ويؤمنون بالجنِّ ويصدِّقون بأخبارهم وتأثيرهم في العالم وإخبارهم بالأمور[1] إلاّ أنهم لا يعرفون من صفاتهم وأعمالهم مثلما حفظ الله للمؤمنين بالغيب في الدين الخاتم، لذلك لم يعرف حقائق تأثير عالم الملائكة وعالم الجنّ أحد اليوم إلاّ المؤمنون بما أخبر الله به محمداً ﷺ، وتكفّل بحفظه محجّة للمؤمنين وحجّة على العالمين.

فعالم الملائكة الأبرار عالم غيبيّ حقيقيّ موجود، دلّ عليه الخبر الصادق المتواتر عن الله تعالى وعن رسوله الأمين ﷺ، وللملائكة علاقة وثيقة بالإنسان ولهم على حياته تأثيرات متنوعة

---

(١) ينظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١١/ ٢٢٩)، (١٩/ ٣٢).

فمن الملائكة من هم مكلفون بمراقبة عمل الإنسان وإحصائه: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨]. ومنهم المكلفون بحفظه في مراحل حياته وأحوالها إلاَّ مما لم يقدّره الله عليه: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]. ومنهم من يقبض روحه عند الموت: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

ولهم بين ذلك في حياته أنواع من التأثير متفاوتة من تثبيت الجنان وتحريك بواعث الخير والتصديق وبث السرور والتفاؤل ونحو ذلك(١).

كذلك عالم الجنّ والشياطين، هو عالم حقيقيّ أيضاً، خلقه الله وأخبرنا عنه في نصوص الوحي، فعرّفنا أن الجن خلق خلقهم الله من نار، وأنهم موجودون على الحقيقة مكلّفون بالإيمان، وأنّ منهم المسلمين، ومنهم الفاسقين والكافرين.

وقد أخبرتنا النصوص عرف أن الجن يخالطوننا في مسكننا ومشربنا ومأكلنا ويروننا من حيث لا نراهم إلاّ أن نحجزهم عنا بذكر الله تعالى.

---

(١) ورد في بيان ذلك أحاديث موقوفة منها حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة: فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق» اخرجه الترمذي برقم (٢٩٨٨) وقال عنه حسن غريب.

كذلك عرفنا من نصوص الوحي الوحي تأثير هذا العالم علينا وحقيقة علاقتنا به من خلال فصة عداوة إبليس اللعين لبني آدم لحسده لأبيهم وتكريم الله له، فعلمنا تربّصه بنا ليغوينا ويضلّنا عن طريق الحقّ والهداية، وعرفنا من صفاته وجنده ما نستطيع به أن نتوقّى شرّهم وفتنتهم بإذن الله.

ونصرف وسوستهم وندافع حيلهم ونتخلص من تحزينهم وتخويفهم لنا.

والذي تتوجه إليه هذه الدراسة هو التأكيد على كون هذا العالم مؤثر حقيقي خفي على النفس الإنسانية ينبغي اعتباره ومدافعته بما شرع الله من الاستعاذة والذكر.

فعالما الملائكة والجن من أعظم الأسباب الخفية والقوى الغيبية المؤثرة في الإنسان بإذن الله ﷻ وحكمته، وقد أخبر الوحي أن الله ﷻ جعل لكل إنسان قريناً من الجن وقريناً من الملائكة، قال ﷺ: «مامنكم من أحد إلا وكّل به قرينه من الملائكة، وقرينه من الجنّ. قالوا: وبك يارسول الله، قال: وبي، ولكن الله أعانني عليه فأسلم»[1].

وقد تضمَّن الوحي الإخبار عن أنواع من تأثير هذه المؤثرات على الإنسان ومن ذلك:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٦٧)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان، حديث رقم: (٢٨١٤).

إقدار الإنسان وإعانته: فقد يحصل من الإنسان فعل يعجز عنه مثله، ولا تُعلم كيفيَّة حصول ذلك إلاّ من خبر عالم الغيب ﷻ، فقد تكون إعانة من الله تعالى وحده بقدرته المطلقة فهو القادر القوي المريد ﷻ، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقد يُسخّر جنوده ليعين بهم من يشاء من عباده المؤمنين فقال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ومن جنوده الملائكة، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، والأخبار الصحيحة في إعانة الملائكة للأنبياء والمؤمنين بأمر الله كثيرة جدّاً، فهم الذين يبلّغون الأنبياء أمر الله تعالى ويخبرونهم بخبر الغيب، وهم الذين يؤيّدون عباد الله المؤمنين ويثبتونهم ويقاتلون معهم ويستغفرون لهم ويحركون نوازع الخير فيهم.

ومن جنود الله الجنّ كذلك، يسخّرهم لإعانة من شاء من عباده كما كان لنبيّ الله سليمان عليه السلام: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، وقد يعاون مؤمنو الجنّ مؤمني الإنس كما يعاون كفّارهم كفّار الإنس.

وقد تكون إعانة الملائكة أو الجنّ للإنسان تأييداً من الله تعالى ونصرة، وقد تكون فتنة واستدراجاً، بحسب صحة العمل وصوابه فالملائكة تؤيّد الحقَّ والصدق، والشياطين يؤيدون الكذب والبهتان، كما أن الإعانة قد تكون بعد توجُّه الإنسان بالدعاء لله

تعالى أو لغيره، وقد تأتي بغير طلب الإنسان وقصده، وقد تقتصر على أمور ظاهرة محسوسة أو تشمل أموراً خفيّة(١).

والإعانة على أمور الخير والطاعة تكون على الأغلب من الملائكة، وإن كان لا يمنع حصولها من الجنّ المؤمنين أو الكافرين فتنة للعباد، أمّا الإعانة على أمور الباطل فهي التي يغوي بها بعض الجنّ بني آدم ويزينون لهم بها طرق الغواية(٢)، ولابدّ أن يكون مع من تعينه شياطين الجنّ من الإثم جهلاً أو عمداً ما يناسب حال الشياطين المقترنة به، فالإعانات الشيطانيّة إنما تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة وهم درجات، فإن كان الإنسيّ كافراً أو فاسقاً أو جاهلاً دخلوا معه في درجات كفره وفسوقه وضلاله(٣)، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء:

---

(١) وتفصيل هذا يضيق به المقام، وقد فصله شيخ الإسلام الكلام في مواضع عدة، منها: «اقتضاء الصراط المستقيم»: (٢/ ٢٢٢، ٣١٦)، و«الصفدية»: ١٠٦٢، ١٠٥٨، و«الرد على المنطقيين»: ٢٨٦، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»: ٢٢٢.

(٢) قد لا يعلم كثير ممن تعينهم الجن أن ما يحصّلونه من أمور علمية أو تأثيرية إنما يحدث لهم بإعانة من الجن، ويظنونها قوى اكتسبوها بتدريب خاص قاموا به، لغفلتهم عن الإعانة التي يفعلها الجن ابتداء لإضلال الإنسان أو إمداده في غي دون أن يسعى إليها الإنسان ويطلبها، وبين الاستعانة بالجن بقصد وعمل بالتقرب إليهم بالشرك والمعاصي، أو من خلال الطلب المباشر من الجن.

(٣) ينظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١٣/ ٧٩)- (١١/ ٢٨٨ -٢٩٥).

٢٢١-٢٢٣]، فالشياطين إنما تقترن بما يجانسها من أهل الشرك والفجور وتكون لهم عوناً إمعاناً في فتنتهم وإضلالهم، ومن ذلك إعانتها الكهّان والسحرة فإنّ الكاهن تخبره الجنّ، وكذا الساحر إنما يقتل ويُمرِض ويصعد في الهواء ونحو ذلك بإعانة الشياطين له[1].

ومن أنواع التأثير أيضاً: **التمثُّل للإنسان يقظة أو مناماً**:

فقد عُلم بطريق الوحي أن من خصائص عالم الجن والشياطين قدرتهم على التشكُّل والظهور بأجساد يراها الناس، فقد كانت الملائكة تتمثَّل للأنبياء كما أخبر بذلك الوحي، وكذا تمثّل الملَك لمريم عليها السلام بشراً سويّاً، وقد ثبت أنّ الصحابة رأوا جبريل عليه السلام في صورة رجل مراراً، ويكون ذلك من تأييد الله للمؤمنين بملائكته[2].

أمَّا تمثُّل الشيطان للناس فهو أكثر من أن يحصى. والقول في حادثة ما بأن الملك قد تمثّل للإنسان لا يصحّ إلاّ إذ أخبر بذلك الرسول ﷺ، حتى وإن كان ظاهر الأمر دعوة إلى خير، فالملائكة لا تتمثّل لأحد إلاّ بأمر الله تعالى لا يخرجون عن ذلك، بخلاف الجنّ فإنهم مخلوقات غيبية مكلّفة كالإنس، ومنهم من يتربّص بالناس لإضلالهم، كالإعانة على أمور ظاهرها خير، زيادة في الفتنة والإغواء.

---

(١) ينظر: «النبوات» لابن تيمية: (٢/ ٨٢٠).

(٢) ينظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١١/ ٢٧٦).

وقد يتمثّل الشيطان في شكل بعض النبات أو الحجر أو يدخل في هذه الأشياء كما يدخل في الإنسيّ، ثم يخاطب الإنسان بما في هذا النبات أو الحجر من المنافع، أو يقول: هنيئاً لك ولي الله، وإنما يخاطبه الشيطان فإذا قرأ آية الكرسي يذهب ذلك. وقد يكون الرجل في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح وبالعكس وما ذاك إلاّ الشيطان.

وقد يأتي الشيطان على صورة رجل بعد موته، فيعتقد الناس أنّه ذلك الميت عاش بعد موته، وقد يقضي الديون ويردّ الودائع ويفعل أشياء تتعلّق بالميت ليزيد في فتنتهم. كما قد يأتي للرجل ويقول له: أنا من أمر الله، أو أنا الخضر، ويعده بأنه المهديّ الذي بشّر به النبيّ ﷺ ويظهر له بعض الخوارق، وقد يحمله إلى مكّة ويأتي به، وكلّه من مكر الشيطان.

بل قد يتمثل الشيطان لإنسان فيرى عرشاً في الهواء وفوقه نور، ويسمع من يخاطبه ويقول: أنا ربك، فإن كان من أهل المعرفة علم أنّه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه فزال وإلا فُتن به فتنة عظيمة[١].

وقد يكون التمثل في المنام الذي هو أحلاماً أو رؤى. وقد تكون رؤيا صادقة تكشف لصاحبها شيئاً من عالم غيب فيعرف

---

(١) ينظر هذا وأمثلة كثيرة في: «الصفدية»: ١٠٥٩، و«مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١١/ ٢٨٨- ٣٠٠)، (١٣/ ٧٧-٨٤).

حدثاً مستقبليّاً أو شيئاً قبل أن يحدث أو يوجد، ثم يكون الأمر كما رأى. فرؤيا المؤمن حقّ قال ﷺ: «رؤيا المؤمن جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوّة»(١). وفي رواية: «جزء من سبعين جزءاً»(٢)، بمعنى أنها نبأ صادق وخبر صحيح، فشابهت صدق الخبر في النبوّة(٣).

ومن أنواع تأثير الملائكة والجن أيضاً: **الإلهام والوسوسة**. والإلهام يكون من الله عزوجل أو ملائكته بإذنه، أما الوسوسة فهي من الشيطان لإغواء الإنسان وفتنته. وقد يختلط الأمر عند كثير من الناس فلا يميزون الوسوسة من الإلهام لاسيما إذا كان من تأثير ذلك كشف أمور غيبية، يقول ابن تيمية: «فالإخبار بالمغيَّبات يكون عن أسباب نفسانيَّة، ويكون عن أسباب شيطانيَّة وغير شيطانيَّة ويكون عن أسباب ملكيَّة»(٤).

وبحسب المنظور الإسلامي فالإلهام يمكن أن يكون مصدر معرفة لبعض الناس. وإلهام الأنبياء ورؤاهم وحي معصوم، ولأهل الحق إلهامات صحيحة، وقد وقع شيئاً من ذلك لكثير

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٣٠)، كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءً، حديث رقم: (٦٩٨٧)، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٣)، كتاب الرؤيا، حديث رقم: (٢٢٦٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٥)، كتاب الرؤيا، حديث رقم: (٢٢٦٥).

(٣) ذكره ابن حجر عن ابن بطال، ينظر: «فتح الباري»: (١٢/ ٣٧٣).

(٤) «الصفدية»: ١٨٧ - ١٨٩.

من الصحابة رضوان الله عليهم ومنه قول الصديق رضي الله عنه عما في بطن زوجه: أراها جارية، فكانت كما قال[١]، وليس ثمة أشعَّة مصوّرة ولا أجهزة طبيِّة متقدِّمة، وإنما إلهام ربانيّ أو رؤيا صادقة.

أما ما يعرض لعامة الناس وخاصة العباد والزهاد مما يظنون أنه إلهاماً فقد يكون وسوسة فتنة للإنسان في دينه أو دنياه، ويكون مصدره تسلط الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم كما في الصحيح[٢]، فيوسوس له، ولم يخبرنا الوحي كيف يستطيع الشيطان ذلك، ولكنه عرّف المؤمنين بالأهم وهو كيف يتوقّونه فلا يؤثر بقواه الغيبية عليهم فهو إذا ذكر الله خنس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦].

وخلاصة القول أن الإلهام والرؤيا ونحوها مؤثرات غيبية متفاوتة بحسب مصدرها، فهي من عند الله فتنة وابتلاء، أو كرامة

---

(١) ومن العلماء من فسّر قول الصديق بالإلهام، ومنهم من عزاه إلى رؤيا صادقة. ينظر: «شرح الزرقاني على الموطأ»: (٤/ ٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٠)، كتاب الاعتكاف، باب هل يدرء المعتكف عن نفسه، رقم: (٢٠٣٩)، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧١٢)، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به، رقم: (٢١٧٤).

واصطفاء، وكان الصالحون لا يزكّون أنفسهم، ويعدّون ما يحدث لهم من هذه الأمور فتنة واختباراً، فلا يطلبون حدوثها، ويسعون - إن حدثت - للإفادة منها في الخير مع الاستعاذة بالله من الفتنة، أمّا من بعدهم فكثير منهم يعدُّون حصول ذلك لهم كرامة! بل يجعلونه مطلباً يتدرَّبون على الوصول إليه بأنواع من الرياضات الشاقَّة، فتخبَّطوا في ذلك تخبُّطاً كبيراً، وتلاعبت بعقولهم الشياطين. قال شيخ الإسلام: «من اتَّبع ما يرد عليه من الخطاب، أو ما يراه من الأنوار والأشخاص الغيبيَّة، ولا يعتبر ذلك بالكتاب والسنَّة، فإنما يتبع ظنّاً لا يغني من الحقّ شيئاً»[(١)].

فمعرفة هذه القوى الغيبية وكيفيّة تأثيرها في الإنسان له أعظم الأثر في حماية الإنسان نفسه من الوقوع في الفتن، فلا ينخدع بأنوار تتلألأ أو روحانيّات تتنزّل، وإنما يعرض مايجد من أحوال على خبر الغيب في الكتاب والسنة ليميز الحقّ الذي يؤيِّده الله به ويرضاه له من الباطل الذي يزينه شياطين الجنّ والإنس[(٢)].

وهكذا فإن المؤمنين بالغيب لما عرفوا حقيقة عوالم الملائكة والجان وتأثيرها في الإنسان استبان لهم حقيقة كثير مما يُعرض لهم، وما يسمعونه، أو يرونه أمامهم من أمور بخلاف من جعل عقله وظنونه دليله في التعرف على هذا الجانب الذي يتمازج فيه

---

(١) «الفرقان بين الحق والباطل» لابن تيمية: ٩٦.

(٢) ينظر: «الموافقات» للشاطبي: ٣٦٧.

عالم الغيب وعالم الشهادة فوقعوا في تفسيرات فلسفية متنوعة للقوى المؤثرة على الإنسان وفيما يلي بيان بعضها:

القوى الغيبية المؤثرة على الإنسان من منظور الفلسفة:

تناول الفلاسفة القدماء موضوع النفس وحاولوا فهم طبيعتها وقواها من منطلق خلفياتهم الثقافية ومشاهداتهم وعقولهم ورؤاهم الفلسفية المختلفة وقد تناول هذا الموضوع دراسات متخصصة تغني عن ذكره هنا[١]. وتتوجه هذه الدراسة لتجلية الرؤى الفلسفية المعاصرة التي ولد من رحمها ما سمي بـ(علم النفس) ثم مالبث أن انفصل عنها في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي وارتبط بعلم وظائف الأعضاء في محاولة للوصول إلى حقائق مختبرة ومجربة تصلح لكي تكون علماً بعد أن اختلف العلم مع الدين في الصراع المعروف الذي نتج عن الكنيسة وضلالاتها. وانتهى الأمر إلى التسليم بأن الإنسان له جوانب خفية روحية لا يمكن قياسها كما هو الأمر في وظائف الأعضاء المشاهدة ومن ثم استقل علم النفس بموضوعه وتنوعت مدارس الباحثين فيه بحسب خلفياتهم الثقافية ومعتقداتهم[٢].

---

(١) من ذلك دراسة للباحثة حياة با أخضر بعنوان «النفس عند فلاسفة الإغريق» منشور بمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية عدد (٤٦) محرم ١٤٣٠.

(٢) ينظر: «الإنسان وعلم النفس» لعبدالستار إبراهيم: ٢٩ وما بعدها.

ومما لا شك فيه أن علم النفس قد أسهم باشكال مختلفة في دراسة السلوك الإنساني وفهم كثير من دوافعه والقوانين التي تحكمه إلا أنه تخبط في أمور كثيرة لكون غالب رواده الغربيين لم يهتدوا بنور الوحي الحق ومن هنا عاد فريق من الفلاسفة للبحث من جديد لكن تحت اسم (ما وراء علم النفس) أو (الباراسيكولوجي) في محاولات للبحث عن حقيقة القوى النفسانية بالاعتماد على العقل والظنون أو على مصادر الفلسفات الروحانيّة والتجارب الذوقيّة، فكان نتاج ذلك مزيجاً من التصوُّرات الفلسفية لا تخرج عن تصوُّرات المعتقدات الوثنيّة، إلاّ أنها تُنشر في هذا العصر على أنها كشوف علمية!

ومع قوة التوجُّه العامّ في العصر الحديث إلى تأييد الاعتراف بوجود مؤثِّرات غيبيّة نادى كثير من علماء النفس والفلاسفة بالاهتمام بالجوانب الروحيّة من النفس الإنسانيّة(١) إلاّ أنّ المصادر التي يستقون منها معارفهم عن الغيب يختلط فيها الحقّ بالباطل والعلم بالأسطورة؛ لذا تشابهت كثير من النظريات

---

(١) ومن أشهر رواد هذا الاتجاه ابراهام مازلو (١٩٠٨-١٩٧٠م). وقد تبنى معهد الدراسات الباطنية (إيسالن) دراساته واستقطبه لتطوير تدريبات (الإنسان المتعالي) *Transpersonal psychology* القائمة على أساس إمكان ترقي الإنسان روحانياً لاكتساب أمور غير اعتيادية ، والوصول إلى مرتبة التأله، ينظر:

- "The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth: A Historical Perspective", Horn, p.145.

الحديثة مع الفلسفات القديمة والحديثة، فجميعها حاولت تفسير ماهية المؤثرات الغيبية على الإنسان دون أن تهتدي بالوحي، فضلت عن الحقيقة التي أخبر بها عالم الغيب والشهادة سبحانه.

وفيما يلي عرض موجز لأهم القوى الغيبية (الماورائية) التي قال بها الفلاسفة قديماً وأعاد طرحها رواد الفلسفة الروحية الحديثة ولكن في قوالب جديدة وكأنها نظريات علمية!

١ - قوى النفس:

المقصود بها تلك القوى الخفية التي افترضوا وجودها في النفس وبها فسروا الظواهر الخارقة للعادة في مجال العلم أو مجال التأثير كالقدرة على التنبُّؤ أو التخاطر عن بعد أو الجلاء البصريّ أو ما يسمونه (بُعد النظر الروحيّ) بأن يكون للإنسان قوّة تمكِّنه من رؤية الأشياء والحوادث غير المنظورة سواء في الزمان أو المكان، أو قدرة التأثير على الأشياء الماديّة المختلفة كتحريك الأشياء من بعد أو الإمراض أو الشفاء ونحو ذلك.

فقوى النفس - على حدِّ زعمهم - هي التي تهيِّئ لصاحبها النجاح في أن يمتلك مثل هذه المواهب ويكون بها نبيّاً أو حكيماً أو كاهناً أو ساحراً خيّراً أو شريراً بحسب طريقة استخدامه لهذه القوى!!

وقد تصور البعض هذه القوى متولدة عن عناصر في تكوين الإنسان أو غذائه فقسموها بناء على ذلك إلى: قوى نباتية وقوى

حيوانية وقوى معدنية، بحسب وجه الشبه بين القوة وماتنسب إليه. ومنهم من صنفها إلى قوة علمية وقوة عملية بحسب ماتتوجه إليه، وهنالك من جعل القوى: بدنية أو نفسية بحسب ماتتعلق به(١).

ومعلوم أنّ الله ﷻ قد امتنّ على الإنسان بالسمع والبصر والعقل، وأودع فيه من صفات الإدراك والتمييز وغير ذلك، وهذه الأمور جميعها يمكن تسميتها قوى، فيكون للإنسان قوَّة للسمع، وقوة للبصر ونحو ذلك من قوى بدنه الظاهرة، كما له قوَّة إدراك يمّيز بها، وقوّة تخيّل يتصوَّر بها الأشياء، وقوّة إرادة تعينه على الصبر والحلم والعفّة، وقوّة غضب، وقوّة شهوة وغير ذلك مما هو مشاهد ومعروف ويمكن تسميته قوى نفسية؛ ولكن هذه القوى ونحوها ليست هي المقصودة هنا وإن كان من الفلاسفة من يذكرونها معها تلبيساً على الناس لتشتبه على الناس. فالقوى النفسانية المرادة عند الفلاسفة هي قدرة غير اعتيادية (خارقة) ولها آثار وتأثيرات خارقة كذلك. فهم في الحقيقة ظنوا الشياطين قوى النفس الخبيثة، والملائكة هي قوى النفس الصالحة كما بين ذلك شيخ الإسلام بقوله: «باطنية الفلاسفة يفسرون الملائكة والشياطين بقوى النفس...... فإنهم دخلوا من هذا الباب حتى خرجوا من كل عقل ودين»(٢).

---

(١) ينظر: «الجديد في الحكمة» لابن كمونة: ٤١٩-٤٤٤

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١٣/ ٢٣٩)، وينظر: «الجواب الصحيح»: (٦/ ٢٤).

ولم يصل طلاب معرفة الحقائق الغيبية من غير طريق الوحي في العصر الحديث[١] إلى أكثر من هذا الافتراض الفلسفي القديم، بتغيير يسير يتناسب مع العصر يتمثل في صبغة علمية، قال أحد فلاسفة علم النفس حديثاً: «إنّ الأبالسة في نظرنا نحن، رغبات شريرة مستهجنة تنبع من دوافع مكبوحة مكبوتة»[٢]. وادّعى فلاسفة الحركات الروحية المعاصرة أن هذه موجودة عند كلٍّ الناس بتفاوت يمكن تجاوزه بالتدريب والعمل على تنمية هذه القوى لدى الجميع لتطوير الجنس البشري عامّة والوصول إلى عصر جديد يوجد فيه الإنسان الكامل. وقد انتشرت هذه الاعتقادات الفلسفية اليوم بأسماء متنوّعة منها: قوى النفس الكامنة، والقوى الروحية، والقوى الخارقة، والقوى الخفية، والطاقة الحيوية[٣].

---

(١) أول القائلين بهذه القوى من فلاسفة الغرب المعاصرين هو الفيلسوف الألماني هنري برجسون (١٨٥٩-١٩٤١م) ، ثم تأسست لخدمة هذه الفكرة وتطويرها حركة القدرة البشرية الكامنة *Movement Human Potentia* عام ١٩٦١م ، وابتكرت العديد من الطرق لنشرها بين العامة والخاصة بمنهج يسعى للتقريب بين العلم والدين والسحر:

- "The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth: A Historical Perspective Horn, p.135.

- "The Upstart Springs: Esalen and the Human Potential Movement", Walter T. Anderson,p.20-65.

(٢) «إبليس في التحليل النفسي» لفرويد، ترجمة جورج طرابيش: ٦

(٣) ينظر: «خارقية الإنسان» لصلاح الجابري: ١٣، و«خوارق اللاشعور» لعلي=

وهكذا انتهى من انحرفوا عن الإيمان بالغيب وأعرضوا عن خبر النبوّات إلى القول بأنّ هذه القوى النفسانية هي أهمّ مؤثّر خفي في الإنسان، وهي أساس الخوارق كلّها سواء منها ما كان للأنبياء أو السحرة والكهّان[١]، وإنما يكمن الفرق فقط-برأيهم- في اختلاف القصد بين إرادة الخير أو إرادة الشرّ بين هؤلاء وهؤلاء. وهو قول باطل مبنيّ على أصول كثيرة فاسدة، من أبرزها: إنكار الوحي، وإنكار الملائكة وإنكار الجنّ، أو إنكار حقيقتهم.

٢ - العقل الباطن *Unconcious mind*:

العقل الباطن باختصار هو فرضية حديثة تعتمد على فكرة اللاشعور *Unconcious* التي قال بها فرويد *Freud* [١٨٥٦-١٩٣٩م] وطوَّرها يونغ *Jung* [١٨٧٥-١٩٦١م] وأضاف إليها مفهوم اللاشعور الجمعيّ *Collective Unconciou*.

وقد كان اللاشعور يمثِّل عند فرويد مكمن الرغبات المكبوتة والخبرات الماضية فقط، ولكن يونغ جعله بالإضافة إلى ذلك منبع الحقائق العالية والعبقريَّة والنبوَّة[٢]، ثم أوصله مطوّرو الفكرة من

=الوردي: ١٤٣، و«الطاقة الخفية والحاسة السادسة» لشفيق رضوان: ١١-١٥

(١) ينظر: «الجديد في الحكمة» لابن كمونة: ١٢٠-١٢٥

(٢) ينظر: «المعجم الفلسفي» لجميل صليبا: (٢/ ٢٦٥)، و

- The skeptic's Dictionary. Robert Carroll: p.388

- "Encyclopaedia Britannica", 2004, (unconscious)

الثيوصوفيِّين(١) إلى معنى واسع وغامض ومختلط، حتى زعموا أنه جزء الله الذي حلّ في الإنسان(٢) تعالى الله عما يصفون!

فالعقل الباطن عند معتقديه يمثِّل قوَّة (فوق نفسية) مؤثِّرة في سائر قوى النفس الأخرى، ويشبه إلى حدٍّ كبير ما كان يعتقده الفلاسفة الإشراقيّون والصوفيّون في مصدر الإلهام والبصيرة على اختلاف تسمياتهم له، فكان ابن سينا يقول بما سماها (القوّة القدسيّة) يُنال بها العلم بلا تعلُّم، وتحصّل بها علوم أعلى مما يحصل بالنبوّة(٣).

ومن يتتبع مفهوم العقل الباطن في أدبيات الفلسفات الروحية الحديثة يجده يتطابق بشكل كبير مع عقيدة (العقل الكليّ) الفلسفيّة، فقد ادعّى يونغ إمكان اتصال اللاوعي الفرديّ بما أسماه اللاوعي الجمعيّ الذي فسره بأنّه عقل عال، أو روح فوقيّة

---

(١) الثيوصوفية *Theosophy* مذهب إلحادي، ونطلق كلمة *sophy* عند اليونان على مذهب يؤمن أتباعه بوحدة الوجود ويرونها الحقيقة المجردة، ينظر: «تحقيق ماللهند من مقولة» للبيروني: ٢٤. وقد زاد الإقبال على دراسة الفكر الثيوصوفي منذ القرن التاسع عشر الميلادي وترجمته وتطبيقاته بعد تأسيس حركة (نيو-ثوت) *New Thought* التي دعت إلى تفكير جديد يعترف بالغيب، ولكن يتلقاه من الإنسان نفسه من تجارب الارتقاء الروحي، ينظر:

- "The skeptic's Dictionary". Robert Carroll: p.376.

(٢) ينظر: «خوارق اللاشعور» لعلي الوردي: ١٤٢

(٣) ينظر: «النجاة» لابن سينا: ١٦٦، و«مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١١/ ٢٢٩).

أو وحدة نفسيّة توجد على نحو مستقلّ عن عقول الأفراد[(١)] ومن ثم يستطيع الإنسان أن يكتسب من خلال هذا الاتصال قوى فوق اعتيادية (خفية).

فالعقل الباطن عند فلاسفة العصر الحديث ومؤيديهم يُعد من أقوى المؤثرات الخفية على الإنسان، يمكّن الناس من تحسين قواهم الكامنة المعرفية والتأثيرية جميعها، عن طريق تدريبات الدخول في حالات الوعي المغيَّرة[(٢)] التي تصلهم باطناً بالعقل الكليّ منبع الإلهام ومقرّ المعلومات الماضية والمعلومات المستقبلية[(٣)].

فالعقل الباطن - عند معتقديه - قوة ميتافيزيقية روحية تمكن الإنسان من التحكُّم بقدره سعادة وشقاوة ونجاحاً وفشلاً ومرضاً

---

(١) رفض أكثر علماء النفس نظرية يونغ وعدّوها خروجا عن المنهج العلمي؛ لتأثر يونغ بالفلسفات الشرقية والسحر والوثنية والتنجيم ينظر: «مدخل إلى نظريات الشخصية» لبابرا انجلز، ترجمة فهد دليم: ٨٤، و«نظريات الشخصية» لجابر عبد الحميد جابر: ٩٠

(٢) ينظر: «خارقية الإنسان» لصلاح الجابري: ٢١٢- ٢١٥ ، و«أسرار الآلهة والديانات»، ترجمة حسان إسحق: ٥٨٥، و:

- "The skeptic's Dictionary". Robert Carroll p.186.

(٣) يسمي بعض المتبنين لهذا الفكر مركز تجمع المعلومات في العالم نقطة الصفر *Zero Point Field* الأمر الذي يضفي على هذه الرجوم والظنيات طابعاً علمياً فيزيائياً، وماهي في الحقيقة إلاً فلسفة يحاول أصحابها الوصول إلى الغيب بعقولهم.

وعافية وغير ذلك. وهو الذي يمكّن الإنسان من الحصول على قوى خارقة توسّع نطاق إدراكه الحسيّ، ليسمع غير المسموعات، ويبصر أبعد من المبصرات، ويتخطّى حدود الزمان والمكان، بل إنّ قوّة العقل الباطن تمنح صاحبها قدرة التأثير في الأشياء بغير الحواسّ المعروفة، كأن يحرّك ببصره الأشياء، ويثني بإصبعه الحديد وغير ذلك[1].

والخطير في الأمر إضفاء الطابع العلميّ والشرعيّ على هذا التخرُّص حتى ظنّ كثير من المسلمين أنّ العقل الباطن هو كشف حديث لغيب نسبيّ! أو آية من آيات الأنفس التي أشار إليها القرآن ودعا إلى النظر فيها!

والحقّ أنّ مسألة أن يُوجد عقل ثانٍ أو جزء من العقل يسمّى العقل الباطن، مسألة يجب أن تُبحث بشكل صحيح من حيث اللفظ والمضمون، لتمييز ما ثبت بطريق علميّ، وما افترضه شخص بمجرد خياله أو هواه، وما هو فلسفة مستقاة من عقائد وثنيّة، أو مجرد ظنون وأوهام يطلقها من يجهل حقائق

(١) ينظر: «قوة عقلك الباطن» لجوزيف ميرفي: ٢٠، ويقول التكريتي: «العقل الباطن هو الذي أسعفك باسم الشخص، أو البلد الذي نسيته، وهو الذي أيقظك من نومك على غير عادتك، وهو الذي وجد الحل لمشكلتك المستعصية بعد أن أعطيته المشكلة ونسيتها...» «آفاق بلا حدود»: ٢٠٧. ويقول توفيق الواعي: «أنا أستطيع عمل كل شيء من خلال قوة عقلي الباطن» «الإيمان وإيقاظ القوى الخفية»: ٣٧.

المخلوقات الغيبيّة المؤثِّرة على الإنسان قديماً وحديثاً فـ«لفظ العقل يختلف في لغة المسلمين عنه في لغة اليونان، فهو عند المسلمين: مصدر عَقَل يَعقِل عقْلاً، وقد يراد به الغريزة التي جعلها الله في الإنسان يعقِل بها، أمَّا أولئك فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه، وليس هذا مطابقاً للغة الرسول والقرآن»، وكذلك هو العقل الباطن في فكر الملحدين والماديِّين اليوم الذين لا يؤمنون بالملائكة والجنِّ والشياطين، ومن ثم يجمعون كلّ مالا يعلمون مصدره في سبب واحد يسمّونه العقل الباطن يدورون حوله، ولا يعدلون عنه.

٣ - الجسم الأثيريّ:

والجسم الأثيريّ - عند معتقديه - هو أحد أجساد سبعة يتكون منها كلّ كائن حي، ويمثِّل أصل هذه الأجساد وأهمّها، وهو في الإنسان أساس حياته، وسر صحّته وروحانيته وسعادته.

ومن حيث الشكل فالجسم الأثيريّ - في فلسفتهم - توأم للجسم الترابيّ (البدن) لكلّ إنسان إلاّ أنّه مشعّ وامض غير مرئيّ؛ لذا يمكنه المرور عبر المواد الفيزيائيّة والاتصال بالعوالم الأخرى. وتقع على الجسم الأثيريّ مراكز تزيد قوّته، وتؤثّر في صاحبه تسمى (شاكرات)[1] *Chakras* تمثّل نقاط استمداد وتلقٍّ لما

(١) مفردها (شاكرا) وهي كلمة سنسكريتية تعني الدولاب، و(الشاكرات) مراكز=

يعتقدونه من الطاقة الروحية الكونية التي هي سرّ حياة الإنسان وأساس سعادته(١).

والقول بالجسم الأثيريّ كالقول بالعقل الباطن وقوى النفس، إنما عدّه مؤثراً غيبياً ونسب إليه أنواع التأثيرات من غفل عن هدى الوحي، ورام الوصول إلى حقائق الغيب من غير طريق الرسل، فأصل هذه المعتقدات مأخوذ من التراث المنقول في الديانات الوثنيّة الشرقيّة، والمعتقدات السرِّية الباطنيّة، وكلّ تطبيقاتها الرياضيّة والعلاجيّة الحديثة تدعو إلى تطوير قوى هذا الجسد لتنمية الجنس البشريّ؛ حيث يصبح بإمكان الإنسان في المستقبل فعل ماكان يُعدّ خارقة في العصور الماضية، كأن يصبح صاحب لمسة علاجيّة، أو قدرة على التنبُّؤ ومعرفة المغيبات، أو التأثير عن بعد في الأشياء المادية وغير ذلك، دون أن يسمى متنبِّئاً أو كاهناً أو ساحراً! ودون أن توهب له هذه القدرات من مصدر خارجي!

=أعصاب روحانية غامضة، يدّعون أن الطاقة الحيوية الكونية المسماة الـ(تشي) أو(كي) أو غيرها تدخل فيها وتخرج منها بصورة لولبية تشبه حركة الدولاب، ينظر:

- "The skeptic's Dictionary", Robert Carroll: p.47.

(١) ينظر: «اعرف روحك» لعلي راضي: ٥٣، و«ظواهر الخروج من الجسد» لرؤوف عبيد: ١٧، و«دراسات ثيوصوفية» لجهاد الشيخ، و: "The skeptic's - Dictionary", Robert Carroll: p.20-33.

وقد انتشرت فلسفة (الجسم الأثيري) في العصر الحديث بعد أن عُرض على أنه كشف علمي عبر التطبيقات التي تبناها معهد إيسالن *Esalen*(١) وروجتها حركة العصر الجديد *New Age Movement*(٢) في دوراتها التدريبية، أو تمارينها وبرامجها الاستشفائية والتشخيصية المفتوحة لعامة الناس، بعد أن كان هذا المعتقد غامضاً محصوراً في حجر تحضير الأرواح عند خبراء حركة الروحية الحديثة(٣).

(١) معهد إيسالن *Esalen Institute of California* بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية أنشئ عام ١٩٦١م وهو معهد للدراسات الباطنية يهدف إلى نشر الفكر الروحاني *spirtituality* ويجعله بديلاً عن الدين *Religion*، واستقطب كثيراً من المتخصصين في مجالات متنوعة جمعهم الإيمان بإمكان ترقي الإنسان إلى مرحلة روحانية إلهية، ينظر:

- "The Upstart Springs: Esalen and the Human Potential Movement", Walter T. Anderson,p.54.

(٢) حركة العصر الجديد (نيو-إيج) هي إحدى الحركات الدينية التي خرجت من معهد (إيسالن) في السبعينات الميلادية، وتبنت كثيراً من التطبيقات العلاجية والتدريبية التي تزعم ضمانها استغناء الإنسان بذاته عن المصدر الخارجي (الله) وتطبيق أوامره العليا (الدين) ينظر:

- "The New Age: The History of a Movement" Nevill Drury, Thames & Hudson,p.35.

- "The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth: A Historical Perspective", Horn,p.165.

(٣) حركة الروحية الحديثة انطلقت بداياتها من (معهد الأبحاث الروحية) الذي أنشئ عام ١٨٨٢م في انجلترا لإجراء البحوث الميتافيزيقية، ثم ما لبثت أن أصبحت غالب أبحاث هذه المراكز تعتمد على الدجل والسحر والاتصال بالجن=

وقد حاول أهل هذه الفلسفات حديثاً التقريب بين معتقداتهم هذه والعلم، فزعموا أنّ الجسم الأثيريّ يمكن رؤيته على شكل هالة ضوئيّة تسمّى عند الهندوس (أُورا) *Aura*، وزعموا أنه تم إثباتها علمياً وتصويرها بواسطة جهاز خاصّ اسمه (كيرليان *Kirlian*)[١] بحيث تُرى، ويتحدّد من خلال وميض هذه الهالة وألوانها معلومات كثيرة عن صحّة صاحب الجسد البدنيّة والنفسيّة والروحانيّة[٢].

٤ - قوة النجوم الأفلاك:

تمثّل النجوم والأفلاك - عند البعيدين عن هدى الوحي - قوى عظمى مؤثرة في الكون والإنسان والحياة، وقد كان المكذبون

=والشياطين عبر ما يسمى (استحضار أرواح الموتى)، وانتشرت الجمعيات المتبنية لهذه الدعوة في مختلف بلدان العالم، ينظر: «الروحية الحديثة» لمحمد محمد حسين ٢٠، و«عالم الجن والشياطين» للأشقر: ٩٢، ويرفض كثير من المتبنين لهذه الأبحاث كرؤوف عبيد، وعلي راضي مصطلح تحضير الأرواح أو استحضارها ويفضلون استخدام مصطلح (علم دراسة الجسد الأثيري) أو (علم دراسة العالم ماوراء المادي) ينظر: «مفصل الإنسان روح لا جسد» لرؤوف عبيد: (١/ ١٦٠) و«العالم غير المنظور» لعلي راضي: ١١.

(١) (كيرليان) *kirlian* هو اسم شخص روسي هو صاحب الفكرة، والاسم العلمي لهذا الجهاز: (كاميرا تصوير التفريغ الكهربائي) وحقيقة ما تصوره هذه الكاميرا هو التفريغ الكهربائي حول الجسم والذي يتأثر لحظيّاً بالتغيرات الحيوية أو ما يسمى بـ(ميتابوليزم الجسم) فيظهر على شكل هالة ، ينظر:

- "The skeptic's Dictionary", Robert Carroll: p.189.

(٢) ينظر: «الإنسان الحائر بين العلم والخرافة» لعبدالمحسن الصالح: ١١١-١٣٣.

بالوحي والبعيدون عن نوره منذ القدم ينسبون إليها كلّ تأثير على الأنفس والأبدان، وكان منهم من يظنّ أنّ المؤثّر الوحيد في هذا العالم هو حركات الفلك ودورانها وطلوعها وغروبها واقترانها، ومنهم من يعتقد النفع والضرّ في النجوم السبعة السيارة، ولهم معها تصرّفات خاصّة في ملبسهم وذبحهم ونحو ذلك[(١)]؛ واختلفوا في تأثيرها، فقال قوم: إنها تؤثّر في الأبدان والأنفس جميعاً، وقال الباقون: بل في الأبدان دون الأنفس، وهو قول أكثر أوائل المنجمين. وقسموا البروج إلى مؤنّثة ومذكّرة، قال ابن القيِّم: ومن هذيانهم في هذا الذي أضحكوا به عليهم العقلاء أنهم جعلوا البروج قسمين: حارّ المزاج وبارد المزاج، وجعلوا الحارّ منها ذكراً، والبارد أنثى، فالشمس ذكر والقمر أنثى[(٢)].

ومما ابتدعه فلاسفة اليونان أنهم جعلوا للأفلاك عقولاً ونفوساً تسيِّرها وتحكمها ثم ابتدع متأخروهم نظرية الفيض والصدور التي ذكروا فيها العقول العشرة التي تصرِّف الكون[(٣)]، وفسّر تلامذتهم المنتسبون إلى الإسلام كابن سينا، اللوح المحفوظ بالقوّة الفلكيّة التي عدّها مصدر العلم بالغيب[(٤)]، والذين يؤمنون بالكواكب يدّعون تنزُّل أشخاص عليهم، ويسمون ذلك روحانية الكواكب،

(١) ينظر: «الملل والنحل» للشهرستاني: (٢/ ٣٥٨).
(٢) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم: (٢/ ٢٢٧ - ٢٣١).
(٣) ينظر: «موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة» لصالح الغامدي: ٣٦٩.
(٤) ينظر: «النبوات» لابن تيمية: (٢/ ٧٠٢).

وما هي إلاّ شيطان نزل عليهم لما أشركوا ليغويهم[١]، وليزيّن لهم نسبة الأثر إلى مالا يؤثِّر نوعاً ولا وصفاً[٢].

وما زال التنجيم موجوداً في العصر الحاضر كالسابق، وعلى أسسه القديمة نفسها، وإن اختلفت طرائقه وأسماؤه[٣]، ومن أبرز أسمائه الحديثة: الطاقة الكونية[٤]، وقد اتخذ مروِّجوه بين المسلمين اليوم طريقة الأوائل من الرافضة وإخوان الصفا وغيرهم الموهمة بأنّ التنجيم علم صحيح يتوافق مع ثوابت العقل أو النقل! فنُشر على أنه برامج تدريبية أوعلاجية وتشخيصية واستشفائية[٥] تُمكن الإنسان من التعامل مع القوى الروحانية

---

(١) ينظر: «الرسالة الصفدية»لابن تيمية: ١٠٥٨، و«الرد على المنطقيين»: ٢٨٦، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»: ٢٢٢.

(٢) ينظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية: ٢٣٤.

(٣) «مكانة الفلك والتنجيم في تراثنا العلمي» لعبد الأمير المؤمن: ٣٤٢.

(٤) أصل لفظة (الطاقة) معروفة في العلوم التجريبية، والمقصود بها الطاقة الفيزيائية بتحولاتها المختلفة وقد تستخدم للدلالة على الطاقة الروحية التي يُقصد بها النشاط للعبادة والهمة، لكن (الطاقة) المقصودة في الفلسفة هي قوة غيبية يسمونها (قوة الحياة) أو(القوة الحيوية).ينظر: «تشي، الطاقة، قوة الحياة» لناصر العبيد: ١٢، و«علم الطاقات»التسع لمتشو كوشي، إعداد يوسف البدر: ١٢.

(٥) كـ(التنفس التحولي) و(التأمل التجاوزي) و(اليوجا) وغيرها، وهي أنواع رياضات علاجية استشفائية، أساسها الاعتقاد بالطاقة الكونية ينظر: «الوجوه الأربعة للطاقة» لرفاه وجمان السيد: ١٥-٥٩، و«التنفس أسلوب لحياة جديدة» لجوديت كرافيتز، ترجمة نورة الشهيل: ١٣-٨٩.

المؤثرة في الكون فيستمد الطاقة الكونية ويكتسب قوى خارقة توصله إلى الصحّة والروحانيّة والسعادة!

ولو عاد المسلمون إلى نصوص الوحي وعرضوا عليه نتاج هذه الفلسفات لعرفوا الحق من نوره وعلموا أنّه لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، خلق هذا الكون بقدرته وإرادته وحكمته، وهو وحده القادر المتصرف فيه والمدبر له، وعلموا بأنَّ الشمس والقمر والنجوم والأفلاك ماهي إلاَّ مخلوقات مربوبة مقهورة معبَّدة لخالقها ﷻ: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤].

والمسلمون الأوائل لم يولوا اقتران مواقع النجوم وحركاتها ببعض ما يعيشون من أحداث اهتمامهم لأنّ نبيّهم ﷺ حذّرهم بقوله: «أخاف على أمّتي بعدي تكذيباً بالقدر، وتصديقاً بالنجوم»، فصانوا قلوبهم عن التوجُّه لغير الله وأسلموا وجوههم إليه، وأخلصوا في طلبهم له، واستغنوا بما أعطاهم، فأغناهم وهداهم إلى خير الدنيا والآخرة.

ولعل مما يفتن الناس بالنجوم أنَّه قد تقترن أحداث أرضية بأحداث فلكية فيظن بعض الناس ذلك سبباً يؤكد معتقداتهم وتصوراتهم الباطلة عن قوى النجوم والأفلاك، لذا وجب التأكيد على أن مجرَّد اقتران الشيء بالشيء بعض الأوقات مع انتقاضه، ليس دليلاً على الغلبة باتفاق العقلاء، والعلم بأنّ أمراً ما هو

السبب أو بعض السبب أو شرط السبب، في الأمور الحادثة قد يُعلم كثيراً، وقد يُظنّ كثيراً، وقد يُتوهم كثيراً، وهماً ليس له مستند صحيح، إلاّ ضعف العقل[١]. ثم إنّ كلّ ما يُظنّ له تأثير نافع للناس علماً وعملاً، أو صحّة وسعداً مما تخرّص به أهل المعتقدات الباطلة فإنّ فيما شرع الله وأباح للناس من الأسباب ما يغني عما يظنّ فيه من نفع، قال ابن تيميّة: «جميع الأمور التي يظنّ أنّ لها تأثيراً في العالم وهي محرّمة في الشرع كالتمريجات الفلكيّة، والتوجُّهات النفسانيّة، كالعين، والدعاء المحرَّم، والرقى المحرَّمة، أو التمريجات الطبيعيّة ونحو ذلك، فإن مضرّتها أكثر من منفعتها حتى في نفس ذلك المطلوب... والمخفق من أهل هذه الأسباب أضعاف أضعاف المنجح، ثم إنّ فيها من النكد والضرر ما الله به عليم فهي في نفسها مضرّة، ولايكاد يحصل الغرض بها إلا نادراً، وإذا حصل فضرره أكثر من نفعه... والأسباب المباحة أو المستحبّة سواء كانت طبيعيّة كالتجارة والحراثة أو كانت دينيَّة كالتوكُّل على الله والثقة به وكدعاء الله سبحانه على الوجه المشروع في الأمكنة والأزمنة التي فضّلها الله ورسوله، بالكلمات المأثورة عن إمام المتقين ﷺ، وكالصدقة، وفعل المعروف يحصل بها الخير المحض، أو الغالب. وما يحصل من ضرر بفعل

(١) ينظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية: (٢/ ٢٣٤).

مشروع، أو ترك غير مشروع مما نهي عنه فإن ذلك الضرر مكثور في جانب ما يحصل من المنفعة»[(١)].

ولو كان النظر في أحكام النجوم واعتقاد طاقتها وقوتها الروحانية يفيد علماً صحيحاً ويدعو إلى عمل نافع لم يجز لنا استخدامه لنهي الشريعة فكيف وهو لا يفيد؟ وكلّ ما يعتقد في النجوم من أنها فاعلة مدبِّرة، وأنها تُسعد وتُنحس، وأنَّ مايحدث في العالم فهو بحركاتها، كلّ ذلك ضلال باطل ولا يُقال في النجوم إلا أنها يُهتدى بها في ظلمات البرِّ والبحر، ويُعرف بالشمس والقمر عدد السنين والحساب، وإنّ فيها دلالة على قدرة الله وحكمته[(٢)].

وخلاصة الأمر أن الناظر في هذه القوى الفلسفية المدّعاة، ومالها من الإمكانات، وما ينسب إليها من أفعال وتأثير في واقع أصحابها - حقيقة أو ادّعاء - يجدها مجرد تفسيرات فلسفية في محاولات العقل لفهم ما يحدث في الكون والإنسان والحياة، وهي عند من عرف حقيقة المؤثرات الغيبية من الوحي ترهات وظنون لا تغني من الحق شيئاً.

فما عرّف به الوحي من تأثير قدرة الله سبحانه، ومن تأثير عالم الملائكة وعالم الجنّ على بني آدم بإذنه ﷻ يغني الإنسان

(١) المرجع نفسه: (٢/ ٢١١).
(٢) ينظر: «القول في علم النجوم» للبغدادي: ١٧٩.

ويكفيه، وإن كان الصحيح عدم استبعاد وجود عوالم أخرى أو قوى لا نراها، فإنّ عدم العلم بالشيء لا ينفي وجوده، ولكن إحالة التأثير إلى ما عَرّف به الله تعالى من الأسباب الغيبيّة أولى من إحالته إلى مظنون أو مُتوهَم لم يثبت كونه سبباً، بل لم يُتحقق من صحة أنه موجود.

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة لموضوع المؤثرات الغيبية على الإنسان أختم بتلخيص أهم النتائج التي جلّتها الدراسة، وهي:

أولاً: أنّ معرفة حقيقة الإنسان وما يؤثر فيه لا تكتمل إلا بمعرفة نصوص الوحي الحق، الذي عُني بتعريف الإنسان بأهم الحقائق الكونية حوله. فأي تفسير يتعلق بالإنسان وإن كان فيما يتعلق بجانب الأمور الظاهرة المشاهدة لابد أن يراعي الجانب الغيبي من الإنسان ويتلقى خبره من الوحي للوصول إلى الحقيقة في هذا الباب.

ثانياً: أن وراء أكثر التصورات والفرضيات الفلسفية عن الإنسان والكون والحياة جهل مطبق بخبر الوحي وهداياته فكثير من الظواهر والأمور الخفية المتعلقة بالإنسان التي جهل العلماء التجريبون - من غير المسلمين - أسبابها شكّلت عندهم ألغازاً تعبوا في محاولة كشفها، فلم يصلوا إلا إلى حدود افتراض وجود شيء ما أو عدة أشياء في تركيب الإنسان هي سبب هذه الأمور، ومنها ما أسموه (العقل الباطن) و(الجسم الأثيري).

رابعاً: أن أعظم المؤثرات الغيبية على الإنسان: قدرة الله المطلقة، ثم تأثير عالمي الملائكة والجن بإذن الله تعالى، وأنه يمكن أن تكون هذه المؤثرات عقلا وشرعا تفسيراً لكل ما يحدث للإنسان مما لا يتوصل إلى تفسيره لكونه وراء مشاهدات الإنسان وتجاربه مما هو متعلق بعالم الغيب.

خامساً: تخبّط كلّ من انحرف عن الإيمان بالغيب كما جاء به النبي ﷺ في أنواع من الاعتقاد الباطل، ووقوعهم في ضروب من الخرافات أو البدع أو الشرك. فما ينشر اليوم ويروج له من مؤثرات غيبية على النفس الإنسانية كالعقل الباطن والجسم الأثيري وتأثير طالع نجم الميلاد ونحوه إنما هو في الحقيقة أنواع من الكفر بالغيب الحق إما جهلا به أو تكذيبا له ويجرُّ إلى أنواع من الشرك به سبحانه.

وتوصي الباحثة في ختام هذه الدراسة بـ:

- دراسة هذا الموضوع ومتعلقاته دراسة موسعة تستقرئ النصوص وتحللها، وتجمع ما كتب في كتب التأصيل الإسلامي لعلم النفس، وما كتب في كتب الفلسفة قديماً وحديثاً لتثري المكتبة الإسلامية بكتاب جامع في موضوع جديد، له متعلق بحياة الناس العملية وحماية أفكارهم من الضلالات.

- العمل على إنشاء مجموعة بحثية من متخصصين في العقيدة والمذاهب المعاصرة مع متخصصين في فروع العلوم المتنوعة

لتتظافر جهود أفرادها لمتابعة مايدّعى من تفسير للجوانب الغيبية في الكون والحياة والإنسان، وعرضه على ثوابت النقل الصريح والتجريب الصحيح لتمييز ماهو ثابت صحيح من الإدعاءات والخرافات والضلالات الفلسفية التي تلبس لبوس العلم.

- العمل على نشر وإبراز معارف الوحي الحق وحقائقه للناس لاسيما في أوعية النشر الحديثة المتخصص منها والعام لدلالة الناس على ما تطمئن له نفوسهم وتصح به عبوديتهم لله ﷻ، فإن الجهل بهذه المعارف وحقائقها ينتشر الخرافات والدجل ويقود إلى أنواع من الشرك والبدع ولهذا كانت الكهانة فاشية في العرب قديما لانقطاع النبوة فيهم.

- العمل على تتبع وفضح الفكر الباطني الفلسفي (الأيزوتيرك) الذي تزيا بزي الكشوف والنظريات العلمية وسرّب للناس كثيراً من عقائد الشرك والكهانة والتنجيم تحت شعارات التنمية والتطوير والكشوف العلمية؛ لحماية الناس من مخاطره الدينية والدنيوية، وتوجيههم للتطبيقات العلمية والتدريبية النافعة والصحيحة من أجل تطوير أنفسهم وتحقيق التنمية المنشودة.

والله أسأل أن يوفق الجميع إلى ما يحب ويرضى ويتقبل هذا العمل سهماً في خدمة دينه ودعوة الناس إليه، إنه سميع مجيب.
والحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع

المراجع العربية:

١ ـ إبليس في التحليل النفسي، سيغموند فرويد، ترجمة جورج طرابيش، بيروت١٩٨٠م.

٢ ـ إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب.

٣ ـ أسرار الآلهة والديانات، أ.سميغوليفسكي، ترجمة: حسان مخائيل إسحق، دار علاء الدين، سورية، دمشق، ط: ١، ٢٠٠٥م.

٤ ـ اعرف روحك، علي راضي، القاهرة، ١٩٨٤م.

٥ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد ابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، دار عالم الكتب الرياض، ط: ٧، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م

٦ ـ الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، عبدالمحسن صالح، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الرسالة، الكويت، ط: ٢، ١٩٧٨م.

٧ ـ الإنسان ذلك المجهول، أليكس كاريل، ترجمة شفيق أسعد فريد، دار المعارف بيروت، ١٩٧٤ م.

٨ ـ الإنسان وعلم النفس، عبدالستار إبراهيم، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٥ م.

٩ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٠ ـ التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، محمد عزالدين توفيق، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط: ٢، ١٤٢٣هـ_٢٠٠٢م.

١١ ـ تأملات في الحياة النفسية، ندرة اليازجي، دار الغربال، دمشق، ١٩٨٨م.

١٢ ـ تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للبيروني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٧٧هـ

١٣ ـ التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤٠٣ هـ.

١٤ ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تصحيح: خليل الميس، دار القلم، بيروت، ط: ٢،

١٥ ـ التفسير الكبير ومفاتح الغيب، محمود الفخر الرازي، المطبعة الخيرية، القاهرة، ط: ١، ١٣٠٧هـ.

١٦ ـ تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة، ط: ٥، ١٤٢٠هـ.

١٧ ـ تمهيد في التأصيل، عبدالله الصبيح، دار إشبيليا الرياض، ط: ١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٨ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م.

١٩ ـ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م

٢٠ ـ الجديد في الحكمة، سعيد بن منصور بن كمونة، تحقيق: حميد الكبيسي، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٤م

٢١ ـ خارقية الإنسان، الباراسيكولوجي من المنظور العلمي، صلاح الجابري، دار الأوائل، سورية، ٢٠٠٤م

٢٢ ـ خرافة الميافيزيقيا، زكي نجيب محمود، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٣م.

٢٣ ـ خوارق الشعور، علي الوردي، الوراق للنشر، لندن، ط: ٢، ١٩٩٦م.

٢٤ ـ دراسات ثيوصوفية، جهاد الشيخ، معابر، الإصدار العاشر، باب منقولات روحية، سوريا، ٢٠٠٣م.

٢٥ ـ الدين، محمد عبدالله دراز، ط: ٢، ١٣٩٠هـ، دار القلم، الكويت.

٢٦ ـ رحلة عبر الغيب بين آيات القرآن وصفحات الأكوان، عبدالكريم عثمان، دار السلام، ط: ٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٢٧ ـ الرد على المنطقيين: ابن تيمية ط٢، ادارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ١٣٩٦هـ.
٢٨ ـ الرسالة الصفدية في تحقيق الرسالة وإبطال قول الزيغ والضلالة، أحمد ابن تيمية، تحقيق: سيد الحليمي، وأيمن الدمشقي، أضواء السلف، الرياض، ط: ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٢٩ ـ الروح، محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: بسام سلامة العموش، دار ابن تيمية: الرياض، ط: ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٣٠ ـ الروحية الحديثة دعوة هدامة، محمد محمد حسين، دار الإرشاد، بيروت، ط: ٢، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م.
٣١ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٤، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٣٢ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصرالدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٤، ١٣٩٨م.
٣٣ ـ شرح الزرقاني على موطأ مالك، سيدي محمد الزرقاني، مكتبة عبدالحميد حنفي، مصر.
٣٤ ـ شرح العقيدة الطحاوية، للقاضي علي ابن أبي العز الدمشقي،

تحقيق وتعليق: عبدالمحسن التركي، شعيب الأرناؤوط، دار عالم الكتب، الرياض، ط: ٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٥ ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط: ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م

٣٦ ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م

٣٧ ـ الطاقة الخفية والحاسة السادسة، شفيق رضوان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣٨ ـ ظواهر الخروج من الجسد: أدلتها ودلالاتها، رؤوف عبيد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: ٣، ١٩٨٤م.

٣٩ ـ عالم الجن والشياطين، عمر الأشقر، دار الكتب السلفية، القاهرة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٤٠ ـ عالم الملائكة الأبرار، عمر الأشقر، دار الكتب السلفية، القاهرة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٤١ ـ العالم غير المنظور، علي راضي، القاهرة، ط: ٣، ١٩٥١م.

٤٢ ـ علم الطاقات التسع، ميتشو كوشي، أعده بالعربية: يوسف البدر، شركة المطبوعات، بيروت، ط: ٢، ٢٠٠٢م.

٤٣ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالعزيز بن باز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

٤٤ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أحمد بن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن اليحي، الرياض، دار طويق، ط: ١، ١٤١٤هـ.

٤٥ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي الظاهري، تحقيق: يوسف البقاعي، ط: ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٤٦ ـ الفلسفة القرآنية، عباس محمود العقاد، بيروت: دار الكتاب العربي، ط: ٢، ١٩٦٩ م.

٤٧ ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط: ١٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٤٨ ـ القاموس المحيط، محمد الفيروز آبادي مؤسسة الحلبي، القاهرة.

٤٩ ـ قوة عقلك الباطن، جوزييف ميرفي، ترجمة مكتبة جرير، ط: ٥، ٢٠٠٢م.

٥٠ ـ القول في علم النجوم، أبوبكر علي بن أحمد المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق: يوسف السعيد، دار أطلس، الرياض، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٥١ ـ لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، ط: ٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٥٢ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد، تصوير الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

٥٣ ـ مدخل إلى نظريات الشخصية، باربرا انجلر، ترجمة: فهد ديليم، دار الحارثي للطباعة والنشر، الطائف، طبعة عام ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٥٤ ـ المعجم الفلسفي، جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٥٥ ـ المعجم الوسيط، ابراهيم أنيس، عبد الحليم المنتصر وآخرون، المكتبة الإسلامية، ط: ٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م

٥٦ ـ معجم مصطلحات الصوفية، لعبد المنعم حنفي، ط: ١، دار السيرة بيروت، ١٤٠٠هـ.

٥٧ ـ معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد محمد الغزالي، دار الأندلس، ط:١.

٥٨ ـ مفاتيح الغيب -التفسير الكبير-محمود الفخر الرازي، المطبعة الخيرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٠٧هـ.

٥٩ ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: حسان عبد المنان الطيبي،

عصام فارس الحرستاني، دار الجيل، بيروت، ط: ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٦٠ ـ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط: ١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٦١ ـ مفصل الإنسان روح لا جسد، رؤوف عبيد، القاهرة، دار الفكر العربي، ط: ٤، ١٩٧٦م.

٦٢ ـ مكانة الفلك والتنجيم في تراثنا العلمي، عبدالأمير المؤمن، دار القلم، دبي، ط: ١، ١٤١٨هـ.

٦٣ ـ الملل والنحل، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، علي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٦٤ ـ منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، ط: ٥، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٦٥ ـ الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم اللخمي الشاطبي، تحقيق محمد اسكندراني، وعدنان درويش، دار الكتاب العربي بيروت، ط: ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٦٦ ـ موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها، صالح الغامدي، مكتبة المعارف، الرياض، ط: ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦٧ ـ النبوات: أحمد ابن تيمية، تحقيق: عبدالعزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط: ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م. طبعة أخرى: دار الفكر، بيروت.

٦٨ ـ النجاة لابن سينا، تقديم محي الدين الكردي، ط: ٢، مطبعة السعادة، مصر ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

٦٩ ـ نظريات الشخصية، جابر عبدالحميد جابر، دار النهضة، القاهرة ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٧٠ ـ النفس، أرسطو، تحقيق: أحمد الأهواني، مراجعة جورج قنواتي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط: ٢، ١٣٨١هـ- ١٩٦٢م.

٧١ ـ الوجوه الأربعة للطاقة، رفاه وجمان السيد، دار الخيال للنشر، لبنان.

المراجع الأجنبية:

1 - Anderson, Walter T., The Upstart Spring: Esalen and the Human Potential Movement, iUniverse, Lincoln, NE, USA, 2004.

2 - Carroll, Robert T.,The skeptic's Dictionary, Wiley, NJ, USA, 2003.

3 - Drury, Nevill, The Dictionary of the Esoteric, Watkins publishing, London 2004.

4 - Drury, Nevill, The New Age: The History of a Movement, Thames & Hudson, London, UK, 2004.

5 - Encyclopaedia Britannica Ultimate Reference Suite DVD, 2006.

6 - Horn, Irmhild Helene, The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth: A Historical Perspective, Unpublished Ph. D theses, University of South Africa, 1996.

الفهرس

طبع بإشراف: سمير الماضي ـ جوال: 00966595629504 ـ بريد إلكتروني: samirm1964@gmail.com